كتاب

تاريخ

حرب الانكليز والحبشة

سنة ١٨٦٨

الاصل الالماني

لموسيو ثيوفيل ولد مير

احد محبوسي ملك الحبش

ترجمة الخواجا خليل شماس

وصلح ترجمته المعلم ابرهيم ناصيف عطيه

ثم نسخه وبيضه وسجع عبارته سليم افندي البستاني

طبع بمطبعة المعارف في بيروت سنة ١٨٧١

ثيودورس ملك الحبشة

المقدمة

الحمد لمن لا يحمد سواهُ. اما بعد فيقول الفقير اليهِ تعالى ثيوفيل وَلدْ مَيَرَ الالماني اني اتيت بلاد الحبش منذ عشر سنين مبشرًا من لدن حضرة الاسقف كوبات الانكليزي المقيم الان في اورشليم وكان معي رجلان ولما كنا نحن وكثيرون غيرنا قد صادفنا بلايا كثيرة ومصائب شديدة واهانات عديدة ومتاعب مقلقة قبل ان امسيناثي اسر الملك ثيودوروس الحبشي وبعد ان بتنا فيهِ واحتملنا ما احتملناهُ مما يقصر القلم عن القيام بحق وصفهِ الى ان خلصتنا الدولة الانكليزية وكنت قد اتيت بيروت بعد النجاة من العبودية منذ سنتين وتسلّمت وكالة المدارس الانكليزية الخارجية بالاشتراك مع المرحومة مادام بوين طمسن المشهورة ورايت ان اكثر سكان الشرق لم يتمكنوا من الوقوف على حقايق

تلك الحوادث الغريبة فحبّا بهم صممت على تقديم خدمة لهم
باسطًا لديهم تفاصيل تلك الامور ومقررًا حقايق الوقايع
والحوادث وكتبت هذه الرسالة في اللغة الالمانية وضمّنتها
بعد المقدمة والتمهيد ثمانية فصول وخاتمة حوت وصف
بلاد الحبشة واحوال اهاليها واسر الافرنج فيها وحرب
الانكليز وغير ذلك من الملاحظات وبعد ان ترجمتها
من الالماني بقلم الخواجا خليل الشماس وصححتها بقلم المعلم
ابرهيم ناصيف طلبت الى سليم افندي البستاني ان
ينقحها ويهذبها ويسجع عباراتها ويعدّها للطبع فالمامول
انها تحوز قبولاً لدى ابناء الشرق وتمكنهم من
الوقوف على حقيقة احوال طالما صبوا
الى الوقوف عليها فنسال الله ان
يوفقنا الى المقصود وهو
حسبنا ونعم
الوكيل

تمهيد

في بلاد الحبش واهلها

ان بلاد الحبش هي في المنطقة الحارة ويحدها شمالاً بلاد سنار وشرقاً البحر الاحمر وخليج عدن وجنوباً بلاد مجهولة تمتد فيها بعض جبال القمر وهي معروفة ببلاد الغلا وغرباً بلاد الشلوك وهي واقعة بين ٩° و٤٠′ ١٥° من العرض الشمالي و ٤٠° و٣٢° و٤١° من الطول الشرقي ومع انها واقعة في المنطقة الحارة لايشتد فيها الحر الا فيما يجاور منها البحر الاحمر لانها مرتفعة الاراضي وللسنة هناك فصلان الشتاء والصيف فابتداء الشتاء في نيسان وانتهاؤه في اخر ايلول وامطاره غزيرة وتهطل اكثرها قبل الظهر وهذه الامطار هي مصدر فيضان النيل وتربتها مخصبة جداً وهواؤها طيب لان اكثر اراضيها جبال ويرتفع بعضها عن البحر نحو ١٢٠٠٠ قدم وبعضها ٦٠٠٠ قدم وبحيرة زان هي واقعة بين تلك الجبال

وهي متسعة وماؤها عذب جداً وتمتد وراءها سلسلة جبال
ارتفاعها من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ اقدم وهي مصدر انهر
كثيرة اشهرها النيل الازرق ويلاقيهِ النيل الابيض
حيث العرض نحو ١٦° شمالاً واشهر مدنها هي غندر
وهي كرسي ملوك الاثيوبية وكانت هذه المملكة في
الايام القديمة ذات شوكة واقتدار وفي تاريخها ذكر
ملوك كثيرين من الذين ملكوا قبل المسيح ومنهم ملكة
سبا التي اتت سليمان الملك عليهِ السلام من بلاد
بعيدة بهدايا كثيرة لتسمع حكمتهُ وفي الجيل الرابع
دخلت الديانة المسيحية اليها ولكنها قد انحطت الان
وضعفت من جرى تقلبات الحروب وهاجمات القبائل
المحيطة بها فانسى الاهالون في اسوإ الحالات على انهم
لايزالون متدينين بديانة مسيحية ممزوجة بعقايد اخرى
والبطريرك الاسكندري القبطي يعين بطريركهم
وحكومتهم في حكومة مطلقة وملكهم هو مطلق التصرف

ودولتهم لاتزال ضعيفة وقد قسموا البلاد الى ولايات
كثيرة وكان يحكمها مشايخ الى ان تبوأ تخت الملك
الملك ثيودورس الذي كان على جانب عظيم من
الشجاعة والبطش فاخضعها جميعها لسلطتهِ المطلقة
والمظنون انهُ لايقوم رجل ذو باس مثلهُ ويتمكن من
جمع تلك القبايل الغير المتمدنة تحت حكم واحد على
ان اكثر هذه القبايل عصتهُ في اواخر دولتهِ وسنذكر
اسباب ذلك انشاء الله اما الان فهي مقسومة الى ولايات
كما كانت مقسومة قبل ثيودروس المذكور والاسباب
التي خسرتهُ اكثر الولايات ومكنت غيرهُ من التسلط
عليها هي اولاً انهُ ملك البلاد ببسالتهِ ونشاطهِ ثانياً
وعد الاهلين باصلاح احوالهم اصلاحا ياتيهم بعصر
جديد ولما كان يعرف ان امتهُ هي في حالة دون
حالة اهالي اوربا شرع في ما من شانهِ ان ياتيهم بالتقدم
والنجاح على انهُ سلك مسلكاً يضاد كل المضادة الوصول

الى النتيجة المرغوبة فانهُ عوضاً عن ان يعدل ظالم
وحمل الاهلين احمالاً لا طاقة لهم على حملها باخذ الاموال
والهبات وغير ذلك مما لا تطيقهُ الامم وتحب التخلص منهُ
وكان يسلب اموال الكهنة ويقول لهم ان العشر الذي
تاخذونهُ من الاهلين يكفي للقيام بحق اودكم لانكم
لستم افضل من لاويي بني اسرائيل فانهم كانوا يكتفون
بالعشر وكان ذلك مصدراً لقيام العداوة بينهُ وبينهم
فعصاهُ الاهلون وخلعت اربع ولايات حكومتهُ فلم يبقَ
لهُ في اخر ايامهِ غير ولاية واحدة وليس فقط ذلك
بل عصتهُ كل الولايات في الاسبوع الذي توفي فيهِ
خلا مكان اقامتهِ وسبعة الاف رجل . فالولاية
الاولى التي خلعت حكومتهُ هي ولاية كرشم وكان واليًا
عليها رجل يسمّى تاتلاكوالو وكان من اكبر اعوان
والملك ثيودوروس الذي قلدهُ ولايتها فعصى عليهِ في اخر
الامر واستقل . والولاية الثانية هي ولاية تيكري وكان

اكانا كوزي واليًا عليها فعصى ثيودوروس واستقل والولاية
الثالثة هي ولاية شوه وكان امير من امراء الحبش ملكًا
عليها فتغلب عليه ثيودوروس واسره فمات في اسره ولما
كبر ابنهُ منلك فر هاربًا والى شوه وطنهُ فمال الاهلون
اليهِ وعصوا الملك واقاموهُ ملكًا عليهم عوضًا عن ابيهِ.
والولاية الرابعة هي ولاية وَلَّوه وكان يملكها ملكتان وهما
وبركت وماستياتي وكانتا خاضعتين ليثودوروس ثم
عصتاهُ واستقلتا فلم يبقَ لهُ غير ولاية امهرا وهي منقسمة
الى ثمان مقاطعات وهي بكيمدر وادلا وبلَّشاراغومدر
وتغوسا وقوارا وتمبيا وجالكي وكان الملك يقيم غالبًا في دبرا
طابور وهي مركز مقاطعة بكيمدر ثم انتقل الى مجدلا
واقام فيها الى ان مات وقد ذكرنا ان سبب هذا العصيان
هو ظلمهُ واعمالهُ البربرية التي سنذكرها

وقد افادتنا الاخبار الجديدة ان الامير مشُاشا
ابن الملك ثيودوروس البكر قد تولى ولاية امهرا واطاعهُ

الاهلون مع انهُ ليس وريث الملك بل الوريث هو شقيقهُ
الاصغر المقيم الان في الهند يتعلم القوانين الاوربية والاصول
المدنية والظاهر ان الانكليز قاصدون ان يملكوهُ
عوض ابيهِ على ان المظنون انهُ سيصادف متاعب
ومقاومات كثيرة من اخيهِ والروساء لكن كما اخبرنا
قبلاً بان اكثرهم يرغبون ان الانكليز يرسلونهُ ليملك
عليهم ويرتاحوا من تعدي العصاة

اما نحن فكنا نقيم غالبًا في غفت وهو مكان مرتفع
عن البحر نحو ٨٠٠٠ قدم ومناخهُ طيب ولما راينا ان
مدة اقامتنا فيهِ ستكون طويلة شرعنا في بناء بيوت من
حجر وبعد مدة قصيرة اصبح لنا قرية صغيرة اقمنا حول
بيوتها بساتين زرعنا فيها كلما ينبت في تلك البلاد
كالبطاطة واللوبياء والفجل والقرنبيط وغيرها ومن
اعجب العجب ان احدنا موسيو بندرغرس شجرة دراق
فاثمرت في السنة الثالثة لان التربة جيدة جدًّا ويزرع

فلاحوا تلك البلاد في شهر ايار وحزيران ويحصدون
في شهر تشرين الثاني وتاتي الارض في الاماكن الرطبة
بمحصولين كل سنة ويزرعون عندهم القمح والشعير والذرة
والعدس والحمص وغيرها اما المزروعات الخضراء فهي
قليلة عندهم وهي الفليفلة الحمراء والبصل والتوم والكراث
والبقطين والبطاطة واللوبياء والفجل والقرنبيط ويزرعونها
جميعها حول البيوت وعندهم كثير من اللبن والعسل
واثمان المبيعات عندهم بخسة جدًّا فيبيعون ثلاثين اوقة
من اللبن الجيد بريال واحد ويزرعون اكثر اللبن
بالقرب من بحيرة زان واثمان المواشي بخسة جدًّا فثمن
البقرة المسمنة ١٥ فرنكًا وثمن ١٥ خروفًا ٥ فرنكات

والظاهر ان الحديد هو المعدن الوحيد على ان
المظنون ان عندهم معادن كثيرة غيرهُ ويخرجون
الحديد بحفر حفَر عمق الواحدة منها ١٥ قدمًا ويخرجونهُ
منها كانهُ حجارة سود ثم يجمعونهُ في اتون ويشعلون

النار فيسيل الحديد ثم يعملونهُ قضبانًا ويصنعون منها
الالات اللازمة لهم . ولو اقام العسكر الانكليزي مدة طويلة
في تلك البلاد لاكتشف على اشياء كثيرة ولكنهُ مرَّ
في الاماكن المقفرة ورجع حالاً خوفًا من الامطار الغزيرة
لان فصل الشتاء كان قد اقترب وقد وجدنا في البلاد
فحمًا حجريًا وقد استخدمناهُ لعمل بعض الاشياء وفي البلاد
ينابيع حارة لا تنقطع مياهها في زمان الحر ويغتسل فيها
الاهلون للشفاء من بعض الامراض ويكثر عندهم البرص
ويضر جدًا بايديهم وارجلهم ويمنعهم عن تحريكها وليس
لهُ عندهم دواء وعندهم ايضًا الداء الزهري وهو المعروف
بالحب الافرنجي ويظنون ان الافرنج قد اتى اليهم بهِ
ولعلهم قد اصابوا . اما اردا امراضهم فهو مرض البودا
وهو يدهم الانسان بغتة فيغيبهُ عن الصواب ويشرع في
المسير كالبهايم ماشيا على يديهِ ورجليهِ ويصهل كالخيل
ويتكلم بالفاظ غير مفهومة ليمنع الجميع عن الاقتراب

اليهِ فانهُ يصرخ صراخًا شديدا جدًّا على انهُ يتمكن من
ذلك بواسطة الاجتماع والتكاتف ويظن البعض ان
الضرب بالعصا يشفي من هذا المرض ومن الوسائط
التي يستعملونها لشفاء هذا المرض العضال هو دواءٌ
يعطيهِ للمريض طبيب يسمى عندهم ساحرًا وقد رأيناهُ
يعالج رجلاً مصابًا بهذا الداء هكذا وهو انهُ اتى وجلس
على حجر امام المريض واخرج دواءً كان موضوعًا في
جراب كان معلقًا في نطاقهِ فلما راهُ العليل اخذ بالضحك
عليهِ والاستهزاء بهِ وكان يقول لهُ لاتتعب ذاتك
باطلاً فانك لاتقدر ان تشفيني فسالهُ هذا الطبيب
سوالات كثيرة لم نفهمها ثم تقدم الذين كانوا حاضرين
وقبضوا على المريض جيدًا واوثقوهُ بربطات شديدة ثم
اخذ دواءً حارًّا جدًّا ووضعهُ في خرقةٍ مبللة ونضح منهُ
في فم المريض ثم سالهُ قائلاً ما اسمك وكم انسانًا دخلت
ويعتقدون ان الروح الخبيث الذي يسكن المريض

يتكلم بلسانهِ وعندهم انهُ اذا كان الروح خبيثًا جدًّا
لايجيبهُ بشي فيسقيهِ مرةً ثانيةً من الدواء وهكذا فعل
الطبيب الذي رايناهُ فنزل المريض وطلب الى الطبيب
ان يسقيهُ عصير اقذار البشر والبهايم ثم عمد الى الذار
واكل جمرة كما ناكل نحن الخيار ثم اخذ يفتش على الدواء
الذي سقاه منهُ الطبيب وشرب منهُ كما يشرب الماء ولما
قارب الشفاء امرهُ الطبيب ان يحمل على راسهِ حجرًا
ثقيلاً لايقدران يحملهُ الانسان السليم فحملهُ على ظهرهِ
ورقص حتى وقع من فوق راسهِ فلما وقع سقط المريض
على الارض مصروعًا وبعد نحو ساعة ونصف استفاق
وكان ضعيفًا جدًّا وغير عارف بما قد اصابهُ وقد قيل
ان المصاب بهذا الداء يسحق باضراسهِ ما يراهُ من عظام
الحيوانات ويا كلها بسهولة كما ياكل الخبز ويصيب هذا
المرض على الغالب الشبان والشابات عندما يبلغون
العشرين ويدهم الاناث اكثر من الذكور ويصيبهم في

شهر ايلول وتشرين وقد بلغنا انهُ اذا لم يأتِ هذا الطبيب
ويعالج المريض بالعلاج المذكور يموت ولا نعرف سبب
هذا المرض (الظاهر ان المفعول للدواء وما يستعملهُ
الطبيب من الاشارات وما يتكلم بهِ من الكلام الغير
المفهوم والمفهوم انما هو ليخدع الناظرين ويحملهم على الاعتقاد
بانهُ ساحر وقادر على عمل المعجزات ليخافوهُ ويعتبروهُ
ولعل هذا المرض من الامراض التي تقوي الاعصاب
وتمكن الانسان من فعل ما لا يقدر صحيح الجسم ان
يفعلهُ وفي مقابلتهِ بغيره من الامراض العضوية التي تاتي
بنفس النتيجة غنى عن التطويل) واذا نظرنا الى الامراض
في تلك البلاد نظرًا عموميًا نرى انها قليلة جدًا بالنسبة
الى غيرها

اما اهالي هذه البلاد فقد امسوا في ظلمة مدلهمة
لان الجهل قد اعمى بصيرتهم وبصائرهم فباتوا يقطعون
قفار الغباوة فانهم فاقدون العلوم والمعارف وكل

اسباب التمدن والانسانية فضلاً عن الكسل المتغلب
عليهم واهمال اراضيهم من اكبر الشواهد التي تشهد
عليهم لانهم لا يزرعون منها الا قسماً صغيراً كافياً ليقوم
بحق اودهم قياماً ضيق الدوابر وبعضهم كانوا يمتنعون
عن زرع اراضيهم ليلا يحصدها العساكر وسياتي ذكر
ذلك بمكانهِ ان شاء الله ولو اشتغلت ايادٍ غير ايادي
الحبش في تلك الاراضي المخصبة لاتت بمحاصيل كثيرة
جداً واصبحت تجارتها متسعة الدوابر على ان كسلهم قد
صيرها قفراً وقد هبط بهم الى ادنى الحالات ومع ان
صنايعهم هي محصورة في الفلاحة لا يهتمون في امر تقدمها
ونجاحها وهم على جانب عظيم من السذاجة ويعتقدون
بخرافات لاطايل تحتها مما تمتنع عقول الاطفال عن
التسليم بصحتهِ ولذلك قد امسوا في احتياج شديد الى
من يعلمهم ويمدنهم ويهذبهم فنسال الله ان يغير احوالهم
ويمكن مخافتهُ في قلوبهم ويميل بعقولهم الى العلوم التي تمكنهم

من الوقوف على حقايق الامور بحيث يرون احتياجهم الى النجاح والتقدم والتمدن وتعلمهم الطريق التي يجب ان يسلكوها للوصول الى مايفتقرون الى الوصول اليهِ

الفصل الاول

دخولنا الى بلاد الحبشة

اتيت انا وموسيو سالِمِر وموسيو فلاد بلاد الحبشة سنة ١٨٥٨ للميلاد والذي ارسلنا الى هناك الاسقف كوبات الانكليزي المقيم في القدس وقصد بارسالنا الى بلاد لاتزال في ظلمة الجهل ان نعلم بالانجيل ونفتح المدارس لتمدن الاهلين وتهذيبهم وكان موسيو فلاد قد اقام في بلاد الحبش ثلاث سنوات قبل ذهابنا اليها فاقيم للتعليم فيها اما انا وموسيو سالِمِر فبقينا عند الملك نحاول الحصول على ما يمكننا من تاسيس مشروعاتنا على اساسات اصولية ومتينة وبعد مدة نلنا

المراد واقمنا في قلعة نجدلا وكان الملك مقيمًا فيها في
ذلك الوقت واتانا معلمون اخرون لهم من الهمة
والنشاط ما يكفي للقيام بحق عمل مفروض علينا
القيام بحقه في بلاد بعيدة تحتاج الى من يمدنها ويهذبها
فصرفنا سنتين في نجدلا نحن وموسيو بندر وماير
وكنسلن وكان هولاء الثلاثة قد اتوا تلك البلاد قبل
ذلك الوقت بثلاث سنوات وكانوا قدوة صالحة
يقيمون الاعمال الخيرية وكانوا قد حصلوا على حب
جميع الاهلين واعتبارهم بواسطة وداعتهم ولين جانبهم
وانسهم وقد اسعفهم في نوال ذلك ما عند الاهلين من
الميل الى الملاطفة والمؤانسة وما كان يحملهم على السرور
والفرح هو ما كانوا يسمعونهُ من هولاء المعلمين من
كلام الانجيل والاخبار الدينية والتعاليم المتعلقة
بالخلاص والراحة بعد الموت والعقاب والدينونة على
انهم كانوا احيانًا ينتقدون بعاداتهم الافريقية الى

الانهماك بغير استماع هذا الكلام فكانوا ينظرون تارة
الى بعضهم بعض وطوراً الى اثواب المتكلم وكثيراً ما
كانت تلوح على اوجههم لوائح التعجب والاندهال
ولا يخفى ما في ذلك من عدم المناسبة فانهُ كثيراً ما
يسوق الانسان الى التفكر في الامور العرضية وقطع
النظر عن الامور الجوهرية . والنتيجة الاولى التي انت
بها اتعاب المعلمين هو ما تمكنا من الحصول عليهِ من
انقياد شاب من اهل مجدلا الى تلمذتنا وقد شهد موسيو
كنسلن بانهُ صادق وامين وذو سيرة حسنة فاقتنيناهُ
استماري (لفظة حبشية معناها معلم) وفرحنا جدًّا بهِ لاننا
قد تاكدنا حسن صفاتهِ وازداد رجاؤنا قوةً اذ اننا
حصلنا على معلم وطني يعرف حق المعرفة اميال ابناء
جنسهِ ومقتضيات المداخلات معهم على انهُ لم يتمكن
من الانضمام الينا بدون الوقوع تحت صعوبات الاضطهاد
غير انهُ ثبت فيما كان عليهِ لان ايمانهُ كان راسخًا

على اساسات صحيحة . اما عجدلافهي قاعة لا تصلح لاقامة
المعلمين فيها فحاولنا الانتقال منها بواسطة تقديم
تحرير التماس الى الملك طالبين منهُ ان ينقلنا الى مركز
حسن مناسب لمشروعنا وقدمنا اليهِ هذا التحرير بواسطة
موسيو بيلّ وهو وزيرهُ الاول ومشيرهُ الوحيد وهذا الموسيو
هو رجل انكليزي كان في اول الامر قنسلوساً في
حلب ثم اتى الحبشة مع القنصل باودون واقاما فيها
فقتِل القنصل بلَوْدُوْن في مكان كان عاصياً على
الملك اما موسيو بيل فاقام في البلاط الملوكي مكرماً
ومحبوباً جدًّا وكان الملك يستشيرهُ في كل المهام وتزوج
هذا الموسيو بابنة الامير إلْما الحبشي وهو من اغنياء امرائهم
واخذ بالتقدم حتى صار وزيراً اولاً وبعد ان اقمنا مدة
طويلة هناك تزوجت انا بابنة موسيو بيلّ المذكور
فميزني الملك بالمحبة عن الاخرين وقد شهد بذلك موسيو
رسّم وهو السفير الذي اتى الحبشة يطلب اطلاق الاسرى

وسيأتي ذكر هذا في مكانهِ. وبعد تقديم التحرير المذكور بواسطة الوزير الاول امر الملك بان نذهب الى غفت وذلك في ايار سنة ١٨٦٠ وهي بلدة تبعد عن دبرا طابور مركز مقاطعة بكمدر مسافة مسير نحو ساعة الى الجهة الشمالية الشرقية وتعلو عن البحر نحو ثمانية الاف قدم وهواؤها طيب وتحيطها رياض وتلال ذات اشجار وزهور جميلة فيخالها المقبل اليها انها جنة وعلى الخصوص عندما ينظر الى الغابات والنهر الذي يجري في الجهة الغربية منها ومائهِ الصافي الجاري فوق حصى كالالماس ولا يتغير هذا النهر السنة بطولها خلافاً لغيرهِ من الانهر في تلك الجهات فصرفنا في غفت فصل الشتاء واحتملنا البرد وهطل الامطار الشديدة التي كانت تكاد تمنعنا عن ضرب خيامنا لان الانهر والمجاري التي كانت محيطة بنا كانت تعيق اعمالنا وتدمدم في اذاننا كالرعود القاصفة ومع ذلك

كنا فرحين لاننا كنا نومل بالنجاح ونفع تلك البلاد
التي كانت محتاجة جدًا الينا لانهُ لم يكن لها واسطة
للتقدم فيما يتعلق بالصلاح وسررنا بالتمكن من
معرفة موسيو سترن الذي كان قد اتى تلك البلاد
ليعلم الاسرائيليين وان هذا الموسيو غنت قبلنا بمدة
قصيرة وكان بيتهُ بعيدًا عن بيوتنا فاستحسن ان يبني
منزلاً بالقرب من منازلنا فكنا لهُ من اكبر المسعفين
في اتمام ذلك ثم شرعنا في بناء منازل ومدرسة لتعليم
الاولاد وكنا نجتمع كل يوم احد للعبادة والتوسل اليهِ
تعالى ان يسعفنا في الحصول على ما حملنا على مباينة
اوطاننا والمجيء الى بلاد بعيدة وكنا نصلي احيانًا بلغتنا
واحيانًا باللغة الانهرية وهي اللغة المتغلبة في تلك
البلاد وكنا نخطب على الشعب المجاور لنا ونسند خطبنا
الى الكتب الدينية والبراهين والشواهد مما يتعلق
بالخلاص فوجدناهم شعبًا على جانب عظيم من الجهل

والغباوة فاكثرهم لا يعرفون شيئاً من ديانتهم ولا اعتقاداتهم
ولا المسيح بل كانوا يظنون ان الديانة انما تكون بتقبيل
حجارة الكنيسة الخارجية فغمنا ما رايناهُ من حالهم وكنا
ندعوهم الى محلاتنا ونكلمهم في امر الديانة والانجيل
وكنا نقول لهم انهُ خالٍ من الغلط والفساد وانهُ ينبوع
التعاليم الحقيقية التي تقودنا الى الصراط المستقيم والمرشد
الى الحيوة الابدية فكانوا يصغون الينا كل الاصغاء فلما
راينا انهم يحبون ان يسمعوا التعاليم الدينية فرحنا جدًّا
وتاكدنا سقوط زرعنا في ارض جيدة وبلوغ النجاح بعنايتهِ
عزَّ وجلَّ اما موسيو سترن فظن انهُ معلم للاسرائيليين
فقط فلما راى انهُ لا اسرائيليين في غفتمال عن التعليم
وانهمك بالتصوير الشمسي واخذ يجول في تلك النواحي
للتفرج عليها وتصوير بعض اماكنها الجميلة فتوسوس
اهل القرى لما راوهُ على تلك الحال وظنوهُ ساحرًا
يحاول سحر البلاد ليسلب منها خصبها وجمالها وبما انهم

على جانب عظيم من الجهل والسذاجة شكوهُ الى الوالي
فسمع لهم وبلَّغ شكواهم الى الملك لانهُ ظن ان لموسيو
سترن غايات خبيثة فلما بلغ ذلك لخبر الملك استشاط
غضباً وقال ان الافرنج يتصدون ان يصوروا بلادي
لانها اجمل بلاد في الدنيا على ان اله ابائي يمنعهم عن
ذلك وكان هذا من مصادر مضادات الاوربيين
وما زاد غضب الملك ما فعلهُ موسيو سترن المذكور
وهو انهُ طلب الى خدامهِ ان يذهبوا معهُ الى غابة من
الغابات لاجل التنزه وياخذوا معهم بقرة ليذبحوها ويأكلوها
في ظل تلك الاشجار الملتفة اما خدامهُ فخافوا ان يجيبوا
طلبهُ لان ذلك من العادات الخبيثة عندهم وكان
اهالي الحبش يحسبون من يفعل ذلك متعدياً فهرب
الخدام في الليل خوفاً من ان يلزمهم ان يتعدوا على عاداتهم
فارجعهم موسيو سترن اليهِ واجرى قصاصهم لانهُ لم
يكن عارفاً ان من ذبح بقرة او غيرها يكون عاصياً على الملك

وكان قصد موسيو سترن ان يصورهم وهم ياكلون لحما
نيًّا فانهم كانوا ياخذون قطعة كبيرة من اللحم ويمسكون
طرفًا منها بفمهم اليمين والطرف الاخر بيدهم اليسرى
ثم يمسكون السيف او الخنجر باليد اليمنى ويبتدئون بجز
اللحم من عند الفم ومع ذلك لايشرمون شفافهم فطلب
الملك مقابلة موسيو سترن فذهب وقابله وعند مقابلته
ارتكب ذنبًا اخر من الذنوب الاولية عند الحبشة لانه دخل
على الملك وهو لابس حذاء الركوب ووقف امامه وعصاة في
يده مزدريًا به وبالعادات الحبشية وبالقوانين السياسية
فلما راى ذلك الملك غضب جدًّا وكان موسيو بيل حاضرًا
فسكَّن غضبه ولولا ذلك لاتى شر عظيم ما اجتهد موسيو
بيل كل الجهد في اخماد غضب الملك وبعد الجهد
اقنعه بان موسيو سترن لم يكن قاصدًا الخداعة ولا
اجراء امور خفية فلما تحقق الملك ذلك كف عمَّا كان
اضمره من الشر ولما انتهى فصل الشتاء وقلَّت امواه

الانهار والسواقي وصارت الطرق تصلح للسفر الى موسيو
سترن المقاطعات الواقعة في الجهة الشمالية الغربية
من بلاد الحبشة قاصدًا الجولان بين الاسرائيليين
فاخذ معهُ موسيو فلاد ليترجم لهُ ولما بلغ المكان
المقصود اخذ في التعرف بالاهلين ولما راى وسائط
حسنة تمكنهُ من التعليم صمم على اجراء مقصدهِ بالحكمة
وهو على جانب عظيم من الرغبة والنشاط ورغب موسيو
فلاد في ذلك ايضًا انضم الى الجمعية المنعقدة في لوندرا
لتعليم الاسرائيليين وكان معلمًا قبل ذلك ولكنهُ لم
يكن من المختصين بتعليم الاسرائيليين الذين يدعون
في اللغة الحبشية فلشه فيبلغ عددهم هنالك نحو
ربع مليون وبعد برهة سافر موسيو سترن الى
لوندرا

الفصل الثاني

اختراع مصبٍ للمدافع وغير ذلك

انهُ بعد ان اقمنا ثلاث سنوات في بلاد الحبشة وذلك سنة ١٨٦١ بعد ان اتينا غفت بسنةٍ اتى الملك رجل فرنساوي اسمهُ جاكوين وادَّعى انهُ يعرف صناعة عمل المدافع حقَّ المعرفة وتعهد للملك بانهُ يعمل مدفعاً كبيرًا بشرط ان نساعدهُ نحن في ذلك اذ انهُ لا يقدر وحدهُ ان يعملهُ لان عمل المدافع يقتضي لهُ ايادٍ كثيرة ليكون متقنًا فارسل الملك تحريرًا وطلب الينا ان نحضر اليهِ وحرضنا جدًّا على اجراء الامر سريعاً اذ ان هذا الامر هو من اهم الامور عندهُ ولم نقدر ان نتخلص منهُ لانهُ لم يكن لنا عذرٌ واضح وعلى الخصوص بعد ان اكَّدنا لحضرتهِ باننا طايعون لهُ كل الطاعة فاجبنا طلبهُ حالاً واتيناهُ راغبين في تنفيذ مآربهِ واقمنا كورًا واستخدم الملك الشعب في جلب

الحديد من اماكن بعيدة وكانوا يصادفون اتعاباً كثيرة
ولكنهُ لم يكن يرثي لحالتهم بل كان يظلمهم ويعاملهم
بكل قساوة وعلى الخصوص حين كان يرغب في الحصول
على امر جديد كالمدافع وخلافها وكان يطلب اليهم
سرعة العمل لانهُ كان قد فرغ صبرهُ من الانتظار
وبعد ان اقمنا بحق اعداد كل الاشياء اللازمة لعمل
المدفع واتى اليوم المعين نصبهِ كنا نرى الناس ياتون
افواجاً افواجاً من اماكن بعيدة مزدحمين الاقدام
طالبين التفرج على هذا الشيء الغريب الذي لم يدخل
بلادهم قبل وطال عليهم زمن الانتظار فضجروا وعلى
الخصوص لانهم كانوا يعلمون ان الملك يهب الهبات
الكثيرة ويعطي العطايا الوافرة للذين يقومون بخدمتهِ
حق القيام فظنوا انهُ يهبنا هبات يقصّر القلم عن وصفها
فبادروا الى مساعدتنا منتظرين جريان مجاري الانعام
فكان بعضهم ياتون بالحطب وبعضهم ينفخون في الكور

وغيرهم يفعلون غير ذلك على ان الامال خابت وصادفنا
جميعاً فشلاً وذهبت اتعابنا سدًى واجتهادات موسيو
جاكوين امست بلاثمرة وذلك لان الفرن لم يكن معمولاً
من موادٍ مناسبة ولذلك سال المعدن قبل ان يمس
راس الزرشان (روح الزجاج) ولما راى هذا الفرنساوي
ذلك اظلم النور في عينيهِ وتبلبل بالهُ وكانت فرايصهُ
ترتعد وعضلاتهُ ترتجف وهو يصرخ صراخاً قويًّا لان
الحزن كان قد فعل فيهِ فلمَّا راينا هُ على تلك الحال
ظننا هُ قد جنَّ فاستأذن من الملك وهجر البلاد وكانت
لنا رغبة شديدة في المداخلة مع حكام البلاد اذ اننا ظننا
بان ذلك يمكننا من تعليمهم وتهذيبهم فسهَّل الله لنا
هذا السبيل فسبحان مغير الاحوال ومسهل الطرق
الصعبة لان من اتى تلك البلاد وراى اولئك القوم
الغائصين في لجج بحار الجهل والغباوة والمعتقدين
بخرافات لاطايل تحتها يتعجب من نجاحنا فما قولك

في قوم اعتقدوا بان مراد موسيو سنون ان يسحر بلادهم
لانهُ كان يصورها وكنا نحن نكاد نقطع الامل من
نجاحهم وتقدمهم ففي احد الاحاد دعونا الحكام لان
يحضروا معنا عند تقديم الصلوة فنهض احد تلاميذنا
وقرا فصلاً من الانجيل فكانوا يصغون اليهِ كل
الاصغاء حتى النهاية فنتج من ذلك نتيجة حسنة وهي
شعور احدهم المسمى وقشوم تغري جرت بفايدة عظيمة فان
قلبهُ امتلأ من الحاسيات الروحية فكان يرغب دايمًا
في استماع تلاوة الكتاب وكثيرًا ما كان يابينا ويطلب
الينا تفسير الاية الفلانية والكلام الفلاني ولم يكتفِ
بذلك بل خصص اوقاتًا لتلاوة الكتاب على مسامع
جنودهِ فكانت اوايح الفرح تلوح على وجههِ لان حاسياتهِ
الداخلية كانت تحركهُ الى محبة الله والفرح بانتباه
افكارهِ وضميرهِ وتاكدنا منهُ ذلك لما راينا انهُ قد عرف
حق المعرفة الكتابة في وقت قصير وكان ذا سيرة

حسنة ومساع حميدة وافعال صالحة ولا يخفى اننا كنا
نسر جدًا من جرى ذلك لانهُ وصل الى ما وصل اليهِ
في وقت قريب بعد ان كان لا يعرف الا الخزعبلات
الباطلة وكان وديعًا غير معجب بنفسهِ وكان يزورنا
فاستبان لنا انهُ على جانب عظيم من اللطف والتهذيب
ويصعب علينا ان نصدق ان من كان مثلهُ وفي ظروفهِ
يبتعد ابتعادهُ عن الاثم والرذايل وكان اديبًا لطيفًا
عفيفًا وقورًا محبوبًا من الجميع وكان من اعمالهِ ما
يشير الى تقواه . وبعد ان اقمنا مدة في غنت اتاها الملك
وزارنا في منازلنا وطلب الينا بيمين ان لا نهمل العمل
الذي كان يعدهُ من احسن الاشياء فاجبناهُ ونحن في ارتباكٍ
من ذلك باننا لا نعرف ان نعمل المدافع ولا اختبار
لنا فيها وان قلنا باننا نعرفها نقول غير الحقيقة
ونأخذ على انفسنا عمل ما لا طاقة لنا على عملهِ وياحبذا
لو كانت لنا المعرفة اللازمة لاننا نرغب جدًا اجراء ما

يسره فلما سمع ذلك قال لنا ما عليكم من باس
فباشروا العمل ثانية وانا اطلب الى الله الذي يعرف
كل الاشياء ان يسعفكم ويقويكم وبحجكم فرغبنا في اجابة
طلبهِ وطاعة امرهِ فباشرنا العمل ونحن في حيرة عظيمة
لاننا كنا نجهل تلك الصناعة ولم تكن لنا الالات
اللازمة فكنا كتائهٍ في الفلاة وبعد استخدام كل
الوسائط وجدنا انهُ لا فائدة من التعب ولا امل في
نوال المرغوب فلما اجتمعنا بالملك مرة ثانية قلنا لهُ اننا
لا نقدر ان نحتمل مشقات عمل مالا نعرفهُ ولكي لا يظن
اننا لا نرغب القيام بحق طلبهِ طلبنا اليهِ ان يكلفنا عملاً
اخر فطلب الينا ان نعمل مركبة ففرحنا جدًّا بذلك
اذ اننا نتخلصنا من ثقل عمل المدافع الصعبة فبذلنا كل
قوتنا في عمل المركبة فخصص كل منا قسمًا منها لنفسهِ فشرع
موسيو سالمار في عمل الحديد اللازم لها وشرعت
انا في عمل الالات الخشبية وبعد ذلك بمدة قصيرة بينما

كنا في اهم اعمال المركبة اتى البلاد قبطان انكليزي
اسمهُ سبيدي ومعهُ رجل اسرائيلي اسمهُ موريز ففرح
الملك بقدومهما وامرهما ان يقيما في غفت مدة قصيرة
وكان محل اقامتهما في المكان المذكور يبعد عن محلنا مسافة
نحو اربع ساعات في الجهة الشرقية ففرحنا جدًّا بقربه
الينا وزرناهُ مرارًا عديدة وكذلك هو زارنا وكنا عايشين
بالرغد والسرور ومهتمين في عمل المركبة على انهُ

ما كل ما يتمني المرء يدركهُ
تجري الرياح بما لا تشتهي السفنُ

والظاهر ان الدهر كان مصمما على معاندتنا وطرحنا
في مشقات لم نكن نترصدها فان الملك جهز العساكر
والمهمات بغتة طالبًا فتح بلاد الواوه وهي واقعة في
جهة الجنوب الشرقي من بلاد الحبش الاصلية
فطلب القبطان سبيدي المذكور الى الملك ان يقيمهُ وزيرًا
عوض موسيو بيل الذي سبق ذكرهُ وكان قد قتل

قبل ذلك الوقت بمدة طويلة وهو يحارب العصاة المتمردين
على الملك وقد ذكرنا انهُ كان الوزير الاول وهو ابو
زوجتي ولما راى سيدي انهُ سيفتح في طلبه اخذ في الاهتمام
في درس اللغة الحبشية حتى اتقنها جيدًا بمساعدة
موسيو كنساس فقصدت انا وموسيو سيدي ان نزور
موسيو فلاد قبل ذهاب الملك الى الحرب وكان هذا الموسيو
مقيمًا في جندابين الاسرائيليين ويا ليتنا لم نزرهُ لان الزيارة
اتتنا بالويل وطردت طوالع السعود من افقنا بعد
ان كنا في صفاء العيش وتكدرت كاسات حياتنا الصافية
لان بعض الحساد المفسدين رغبوا في ان يشوا الى
الملك بالافرنج لما راوهم متقدمين عندهُ ومحبوبين منهُ
فقالوا لهُ ان مرادنا الفرار الى العصاة والاقامة عندهم
لنتخلص من قوانينهِ وهذا هو برهان يبرهن شر قلب
الانسان وحسدهُ لاننا لم نضر اوليك الوشاة شيئًا بل
كنا نجتهد كل الاجتهاد في تنفيذ اوامر الملك فلما سمع

الحاكم كلامهم اغتاظ جدًّا وامر حالاً اهل القرى ان
يتبعونا ويلقوا القبض علينا وقبل ان نبعد عن غفت
مسير اربع ساعات رابنا ميات من سكان تلك الكورة
قد احاطوا بنا ومعهم العساكر وكانوا كالذياب الكاسرة
فهجموا علينا وامسكونا ثم رجعوا بنا الى غفت كاننا
اسرى حرب وكنا نقول في انفسنا ان هذا كلهُ هو مما لا نبالي
بهِ ما لم يبلغ مسامع الملك . على اننا وقعنا في حيرة وويل
عظيم وهم شديد عندما بلغنا ان ذلك قد بلغ مسامع
الملك وانهُ كان قد امر بالقاء القبض على جميع خدامنا
واولاد المدرسة فتمكن الحزن من قلوبنا تمكنًا لا اقدر ان
اصفهُ على اننا عرفنا باننا سنصادف سجونًا وقيودًا وظلمًا
شديدًا لاننا نعرف ان غضب ثيودوروس هو شديد وانهُ ما
من احد يقدر ان يسكنهُ متى هاج ولو مضى عليهِ عشر سنين
فسلمنا امرنا الى الله واتكلنا عليهِ والظاهر ان قوةً غير
اعتيادية حركت افكاري ان اصنع لهُ بندقية لانهار بما كانت

واسطة لاخماد نيران غضبهِ فاستغنمت الفرصة وشرعت
في العمل وصنعت بارودة متقنة جدًّا وموافقة للطلوب ولما
انتهيت من عملها ارسلتها وارسلت معها مكتوبًا من الخواجا
سالمدّير الى حضرة الصدر الاعظم فقدمها الى الملك فسكنت
غضبهُ واستجلبت رضاهُ لانها وقعت منهُ موقعًا حسنًا
وفرح بها جدًّا لانهُ حصل على ما لم يرهُ قبلاً فكان
يتعجب هو وجميع اعوانهِ منها وكان يظن الاهلون انها
عملت بالسحر فاطلق كل المسجونين وطلب الينا اتمام
عمل المركبة ولما تمَّ عملها صنع لها موسيو مير ما يلزمها
من الالات والسيور بحيث يمكننا الخروج فيها
للتنزه فلما رآها الاهلون الذين لا يقدرون ان ياتوا بمثلها
بعد زمن طويل تعجبوا جدًّا ورفعوا ايديهم الى جهة
السماء وطلبوا الى الله ان يوبد سلطة ملكهم ثيودوروس اذ
انهم حصلوا في ايامهِ على سعادة ونجاح وراوا امورًا لم
يكونوا ينتظرون ان يروها وبعد ان جربناها ووجدناها

هدية مناسبة للملك اخذناها الى حيث كان مقيمًا مع
عسكره ووضعناها في خيمة كانت مضروبة للعسكر
وذهبنا لنقابل الملك فراينا هُ جالسًا على القهوة فلما
رآنا سر وفرح وقال انهُ مسرور لاننا قد اقمنا بحق
مطلوبهِ وامر حالاً باخراج المركبة من الخيمة ثم نظرها
بعين التامل والافتكار وخاطب عظماءهُ قائلا ان
هولاء الافرنج قد صنعوا لنا مركبة وبذلوا الجهد في
اتقان عملها فمن واجباتنا اذًا ان نمهد الطرقات لتسير
فيها جيدًا ولم تطل مدة فرحهِ بالحصول على المركبة
لانهُ راى شيئًا اخر الهاهُ عنها وهو مدفع وبعض كرات
صبَّها موسيو موريز الذي اتى مع قبطان انكليزي
في غفت ونحن غايبون واهداها للملك وبما ان عمل
الالات هو من صناعتهِ هان عليهِ الامر جدًا فاخذ الملك
ينظر اليها ويصفق بكفيهِ فرحا ويقمز على صبرة الحنطة
ويرفع يديهِ الى السماء شاكرًا الله على ذلك وكان هذا

المدفع والكرات مصدرًا لاتعابنا لانهُ نسى بها المركبة
وطلب الينا ان نعمل لهُ شيئًا اعظم لانهُ كان قد تاكد
ان موسيو موريز يعرف ان يعمل المدافع وطلب
اليهِ ان يصنع مدفعًا اكبر واظهر لهُ انهُ مزدرٍ بالمدفع
الصغير بعد ان كان قد سر بهِ جدًّا وهذا كان شانهُ فانهُ
كان يفرح بالشيء عندما ينظرهُ في اول الامر وبعد
ذلك يزدري بهِ ويرغب في الحصول على شيء اخر
جديد فانهُ طلب الى الخواجا المذكور ان يعمل مدفعًا
كبيرًا وامرنا بكل تشديد ان نساعدهُ في ذلك وطلب
الينا ان نتعاون على العمل معاونة الاخوة وان نجتهد لكي
نأتي بمدفع متقن ولما راينا انهُ ما من سبب يكدرهُ
شعرنا بالراحة والامنية ورغد العيش وعلى الخصوص
لانهُ وهبنا هبات حسنة مقابلة لاتعابنا فاعطاني واعطى
موسيو سالمار الف ريال واعطى موسيو موريز مبلغًا
وافرًا لم نعرف مقدارهُ واعطى موسيو كانسان ثلاثماية

ريال فهذه الانعامات سدت احتياجات بعضنا وهما
موسيو سالمار وموسيو كانسلن فانهما كانا في احتياج شديد
الى النقود فسبحان الذي لا يهمل احدًا ويحيط بني البشر
بانعاماتهِ ولا ريب ان الذي يقف على اخبارنا ونحن
في تلك البلاد الغريبة هدفًا لاسهم غضب ذلك الملك
الذي ينسبهِ غيظهُ اصدقاءهُ واتعاب الذين يسلكون
مسلك الامانة في خدمتهِ يستغرب التغييرات التي
كانت تطرا علينا فاننا لو رفضنا مطلوب الملك لكان
غضبهُ قد حمي علينا فكنا كما قال الشاعر

كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقر على حال من القلق

فكنا نرتفع اياماً الى اوج السعادة والحظ ونحدر
يومًا الى دركات الذل والهوان كما قال الشاعر

فيوم علينا ويوم لنا ويوم نسرُّ ويوم نساءُ

فما كان لنا فرج الا بالتسليم اليهِ تعالى فاتكلنا
عليهِ وسلمنا امرنا اليهِ لان عين الاختبار كانت قد

ارتنا رزايا كثيرة ومتاعب شديدة واهانات مقلقة فعزمنا
على مقابلة كل الدواهي بعزم ثابت وقلب جسور
وبعد ان حصلنا على الهبات المذكورة شكرنا مراحم
الملك والتمسنا اليهِ ان يعاملنا بالرفق والمرحمة ورجعنا
قاصدين وطننا غفت مصممين على عمل المدفع
بحسب امر الملك وكنا موقنين ان عمل هذا المدفع
يكون واسطة لاستجلاب خاطرهِ ومحبتهِ لاننا كنا نعرف
انهُ مطلق التسلط على شعبهِ واذا امرهُ بمساعدتنا ننجح
في العمل ونحوز رضاهُ بنوع يمكنا من استعمال ما
من شانهِ الارتقا بتلك الامة الى افاق المعارف والتمدن
على انهُ كما يقال بالمثل الدارج لم يات حساب الحقل على
حساب البيدر فاننا كنا كالكاتبين على الماء لان
اتعابنا ذهبت سدى وظهر لنا ان الذي عمل المدفع
الصغير المذكور نسي صناعتهُ واغمض الخمس عينيهِ
واعمى بصيرتهُ فامسينا في قلق وهم وكدر وخوف على اننا

تعزينا بقول الكتاب وهو تطلبوني وتجدوني اذا طلبتموني من كل قلوبكم

شعر

دع المقادير تجري في اعنتها ولا تنامن الا خالي البالي
ما بين غمضة عين انت باهتها يغير الله من حال الى حال

وبينما كنا على ما كنا عليه ورد تحرير من الملك به يشدد عزمنا وينهض همتنا الى تكميل العمل وما قاله فيه ان كنتم غير ناجحين في العمل فراجعوا لعلكم تصيبون الغرض فارتاح بالنا بهذه العبارة لاننا راينا ان الملك لا يتكدر اذا لم ينجح عملنا وفي تلك الاثناء اتى الحبشة رجل استرياني اسمه باتيست فلما راى انه بين قوم لا يعرفون شيئًا من الصنائع ولا يعرفون عمل البارود ادّعى بانه يعرف ان يعمله وكان قد اتى بكمية من البارود الجيد من اوربا فاعطاها للملك وقال له انه عمله فلما راى الملك ذلك منه انعم عليه بمبلغ من النقود

ومقدار وافر من الحنطة والعسل والزيت وطلب اليهِ
ان يصنع لهُ كمية وافرة فوعد الملك باجابة طلبهِ وبعمل
بارود احسن من البارود الذي اراهُ اياهُ على انهُ
طلب الى الملك فرصة بضع ايام الى ان تصل الالات
التي قال انهُ تركها في مصوَّه (هذه البلاد تخص
حكومة مصر وهي واقعة عند حدود بلاد الحبش على
شاطي البحر الاحمر) فلما سمع الملك هذا الكلام فرغ
صبرهُ وبادر الى ارسال رسول الى البلاد المذكورة لياتي
بتلك الالات وطلب الى الرسول ان يرجع حالاً فذهب
ولكنهُ لم يجد الالات فرجع واخبر الملك بخداع ذلك
الرجل ومكرهِ فعرف الملك من ذلك ان الاسترياني
لا يعرف ان يعمل البارود ولكنهُ ادَّعى بهذه المعرفة
ليحصل على احسان من الملك فاشتد غضب ثيودوروس
عليهِ لانهُ سخر بهِ وامر الوزراء ان يسجنوهُ وان يلزموهُ بان
يعمل بارودًا فبعد ان كان ذا شان وقدر عندهم

امسى محتقراً ذليلاً وامر الملك الجميع ان يتجنبوا مجالسته
ومخالطته فسار ذكره مثلاً للغش والخداع واضر ذلك
بالافرنج لان الاهلين كانوا يقولون لبعضهم بعض اننا
ظننا ان كل الافرنج صادقون على اننا راينا منهم من
يكذب ويخدع وهذا يبرهن لنا جهل هولاء القوم
الذين كانوا يظنون ان اهل اوروبا جميعاً لا يكذبون
ولا يغلطون وما ذلك الا نتيجة عدم مداخلتهم مع
اصحاب المعارف والتمدن وعدم حصولهم على العلوم
المهذبة والموقفة على حقايق الامور حتى ان جهلهم كان
يحملهم على الظن باننا نستخدم السحر في عمل ما
كنا نعمله من الالات وغيرها فما اعظم الفرق بين
هولاء القوم الجهلة وبين الاقوام الذين اخترعوا
الاختراعات البهجة على اننا نفضل احياناً الجاهلين
عليهم بذلك على ان الله هو عادل وياتي الكاذب بما
يستحق من سوء العواقب والصادق بحسن المجازاة

وهو الذي مد الينا يد المساعدة واسعفنا في عمل مدفع كبير بمساعدة مستر موريز بعد ان قاسينا من الاتعاب والمشقات مايعسر علينا وصفهُ . فلما اتى الملك غفت دعانا اليهِ فاتيناهُ في الحال على قدم السرور والطمانينة واريناهُ المدفع فسر بهِ جدًّا واندهش من حسن اتقانهِ وجودة تحكيمهِ وقال انني تحققت بان كل الوسايط اللازمة لتقدم الحبشة هي موجودة عندنا واحمد الله اذ انهُ قد ارجع الصنايع الى بلادنا بواسطتكم بعد ان هجرتها قرونا كثيرة . ولما راينا ما راينا منهُ اغتنمنا الفرصة وعرضنا لهُ بخصوص المبشرين ستيكر وبرنديس فاجاب حالاً بالايجاب واظهر لنا سرورهُ وانشراحهُ اذ اننا صنعنا لهُ مدفعًا ودعانا لنتناول الطعام معهُ . اما فرحهُ هذا فكان قليلاً جدًّا بالنسبة الى فرحنا فلم يسمح الملك بذلك حينئذٍ فعزمنا على تاخير الامر الى ان يرجع من الحرب التي كان مصممًا على اقامتها

وكان منهمكًا كل الانهماك بها لانهُ كان منصبًّا كل
الانصباب على الفتح وشن الغارات وكنا نعرف انهُ
مطبوع على التقلب ولذلك لم نقطع الامل من الحصول
على الرخصة المرغوبة. وبعد ان صرف مدة بفتح بلاد
الولوه التي كانت قد عصتهُ وقد ذكرناها فيما مضى رجع
بعساكرهِ وتبين لنا حينئذٍ ان الدسائس وكلام
الوشاة كانت قد حملتهُ على ان يسيء الظن بنا حتى
اننا امسينا غير قادرين ان نكلمهُ بشي عما يتعلق بعملنا
لانهُ كان مغتاظًا جدًّا منا والذي حملهُ على تصديق
تشكيات اصحاب الفساد والحسد هو ما فعلهُ موسيو
بابتست الذي خدعهُ بما يتعلق بعمل البارود فظن
ان الجميع هم كاذبون كالموسيو المذكور وعلى الخصوص
بعد ان قال لهُ ان مكر الافرنج ظاهر واعمالهم تشهد
على حذق المتمدنين وعلومهم اذا كانوا كاذبين كذلك
الاسترياني الذي حاول الحصول على هبات الملك

بالمكر والخداع

الفصل الثالث

مجيء المبشرين ستيكر وبرنديس والتبشير بين اليهود وغير ذلك

وبعد ان اقمنا في بلاد الحبشة اربع سنوات ارسلت الجمعية السكوتلاندية موسيو ستيكر وموسيو برنديس ليساعدانا في التعليم فاتيا البلاد سنة ١٨٦٣ وكان من اهم مقاصدهما تعليم الاسرائيليين وتبشيرهم بالانجيل وكانا لايعرفان اللغة الامهرية فالتزما ان يقيما في غفت معنا لنساعدهما في درس تلك اللغة وبعد وصولهما بمدةٍ قصيرة طلبنا الى الملك ان ياذن لهما بالجولان بدون معارضة الحكام في المحلات التي كانا قاصدين الجولان فيها ليتمكنا من تبشير الاسرائيليين لاننا راينا ان غيظهُ قد تبدل بالسرور والمحبة ومع ان الطعام الذي كنا نتناولهُ معهُ كان ممزوجاً بكمية وافرة

من الفلفل وذلك بحسب عادة اهل تلك البلاد
اكلنا بدون ان نشعر بحرارتهِ لان لطف الملك ورقتهُ
وتنازلهُ نستنا حرارة الفلفل التي تكاد تحاكي حرارة
النار وبعد ان اكلنا قال لنا انهُ غير قادر ان يكافينا
فطلب الينا ان نطلب اليهِ ما نريد فيعطينا اياهُ خلا
عرش الملك فاجبنا باننا لا نتمنى غير صفاء خاطرهِ ثم
وهب كلا منا الف ريال وزادًا يكفي بيتهُ سنة
واخذنا ذلك منهُ واعربنا عن ممنونيتنا بطاطاة روسنا
اما مستر كنسلن فلما راى هذه الهبات وان الملك ميزهُ
بعطية سرج مذهب تاخر عن الذهاب الى اوروبا بعد
ان كان قد صمم عليهِ . وفي صباح اليوم الثاني اتينا
بالمبشرين المذكورين الى امام الملك فقابلهما باشًا ولاطفهما
وامرهما بان يجلسا بحضرتهِ ثم سالهما قائلاً هل تعترفان
باني ملككما اذا سمحت لكما بان تبشرا الاسرائيليين
وتقران بان لي حقًا بان اتصرف بكما تصرفًا مطلقًا .

وكان يسال كل غريب اتى بلادهُ هذا السوال. ومصدر
ذلك هو امران احدهما حب التكبر والارتفاع فكان
يظن انهُ ملك ملوك الارض بعد الله وتبين لنا ان الامر
الثاني هو القلق الذي كان يخامر افكارهُ خوفاً من
سقوط الملك من يدهِ بواسطة دخول الاجانب بلادهُ
فاجاب المبشران المذكوران بالايجاب فاذن لهما بالتطواف
بين الاسرائيليين وتعليمهم الديانة المسيحية. اما نحن فعرفنا
ان مصدر اكرامنا هو عمل المدفع فشرعنا في الاهتمام بعمل
شيء اخر جديد يقع منهُ موقعاً حسناً على اننا لم نكن
مستعدين لعمل شيء اخر فوهبناهُ نظارةً وصوراً اتينا
بها من اوربا ومن هذه الصور صورة اورشليم فاخذها
وشرع في التفرس فيها وهو غائص في بحار من الافكار
فكان يسالني عما كان يراهُ فيها كالقبة التي بناها الامام
عمر بن الخطاب في المكان الذي كان مبنياً فيهِ هيكل
سليمان بن داود وقال انهُ يشتاق جداً الى زيارة

اورشليم ويجب ان يسمح الله لهُ بذلك. فهذا بعض الحديث الذي جرى بيننا وقد اكتفينا بهِ لمجانبة التطويل وبعد ذلك امرنا بان نذهب الى غفت لنعمل لهُ مدفعاً اكبر من الذي عملناهُ وذهب هو قاصداً ولاية ميتشا بعد ان ودعنا باللطف ورقة الاخلاق وبعد ان اعطانا الف زقّ من العسل وكمية وافرة من الحنطة وشكرناهُ على هذه الهبة ودعونا لهُ بطول العمر رجع كل منا الى منزلهِ في غفت. وهو معلوم اننا لم نات بلاد الحبشة لنعمل المدافع ولكننا اتيناها لنعلم الاهالي السلام ونحملهم على محبة السلام ولكن ظروف الاحوال الزمتنا ان نقوم بحق ارضاء الملك لنتمكن من اجراء مقاصدنا ولولا ذلك لوقعنا في اسواء الحالات واميسينا لا نقدر ان نعلم الاهالي ولا ان نجول بينهم اما المبشران المذكوران فذهبا الى جندة وهي مركز الاسرائيليين وتبعد عن غفت مسافة قصيرة ولما اتينا المكان

المذكور قابلنا الاهالون بالترحاب والاكرام اذانهم كانوا
يعرفون ان الملك كان يحبنا و كانت المحصولات في
تلك السنة مخصبة جدًّ وصح البلاد ما قيل من انها
تفيض لبنًا وعسلاً ولما رأينا ان سبيل التبشير سهل
امامنا قطعنا النظر عما يتعلق براحتنا وبذلنا الجهد
في القيام بحق الواجبات التي اتينا تلك البلاد لاجلها
واصبحنا نبني قصورًا من الامال المبنية على اساسات
رضى الملك ومساعدته وعلى الخصوص لاننا كنا نعرف
انهُ متى زرعنا الزرع في اول الامر نحصد في مابعد اذاننا نكون
قد وضعنا اساسات متينة لا تكدرها تقلبات الاحوال
ولا طوارق الحدثان ولكنها تاتي بنتائج فيها لنا المكافاة
على اتعابنا

لاتبكِ إلفًا نأى او دارا ودر مع الدهر كيفما دارا
واتخذ الناس كلهم سكنًا ومثّل الارض كلها دارا

ولما كان مصدر هذا العمل الملك كان كثيرون

من اتباع المذاهب المختلفة يرغبون جدًّا في مساعدتنا مع
ان الذي حمل الملك على فعل ما فعل هو رغبتهُ في
نوال مقصدهِ وهو عمل المدفع ولذلك عاملنا بما نرغب
في تنفيذ مآربهِ ولا ريب انهُ ما من احد يلومنا على فعل
ما فعلناهُ من صب المدافع وغيرها لانهُ لولا ذلك لم
نتمكن من اقامة التبشير ومع انهُ قد عرضت دوننا موانع كثيرة
كنا نرى بسرور كثيرين من الذين بلغوا سن الثلاثين
والاربعين يتمكنون من ان يتعلموا القراءة ومن مطالعة
التوراة لان اول ما شرعنا بهِ هو فتح المدارس اذ انها
الواسطة الكبرى التي تقود الانسان الى الديانة وكثيرًا
ما كنا نذهب الى الكنائس المجاورة لنا ونكرز عليهم ببشارة
الانجيل بفرح وسرور لا مزيد عليهما وكنا لا نبالي بما كنا
نتكبده من المصاريف ولا بما كان يداهمنا من الدواهي وعلى
الخصوص لاننا كل ما فعلناه كان من واجباتنا ومن اعجب
العجب انهُ كان ياتينا كثيرون من الجنود الحاملين علامات

الشر والقتال ويطلبون منا التوراة راغبين كل الرغبة
في مطالعتها فاتى احدهم وطلب منا توراة فاعطيناهُ
اياها ونصحناهُ وافدناهُ افادات متعلقة بالايمان والخلاص
الى ان راياناهُ قد شعر بانهُ مفتقر الى التوبة والغفران
فرجع فرحاً متهللاً حاملاً سلاحاً قاتلاً في اليد اليمنى
وسلاح الحيوة في اليسرى فكان من حراس قلعة مجدلا
فلما رجع اليها شرع في درس ذلك الكتاب بدون
مساعد ولا مرشد الى ان شعر بثقل خطاياهُ فتاب وندم
واصبح قدوة صالحة لكثيرين من ارفاقهِ الحراس وبعد
مدة قصيرة جداً تعهد بالقيام بحق وظيفة التبشير الجليلة
وقال انهُ لا يبالي بالاضطهاد قياماً بحق مجد الله وانضم
بعد ذلك الى موسيو كنسلين المذكور في الفصل الاول
وشرعا في زرع بزر الصلاح في تلك الاراضي المغطاة
بشوك الجهل والغباوة الدينية والزمنية فصرفنا تلك
المدة راتعين في بحبوحة الراحة والسكينة ومجتهدين

كل الاجتهاد في نشر البشارة وكان الله سبحانهُ وتعالى يهبنا نجاحاً وتقدما ومع ذلك لم نبطل العمل في المدفع الذي كان الملك قد طلب الينا ان نعملهُ لهُ وبقينا على تلك الحال الى ان اكملنا دُفاتي مدفعاً كبيراً متقناً يفوق جداً في الاتساع وحسن العمل المدفع الاول فبادرنا الى افادة الملك عن ذلك والتمسنا منهُ ان يفيدنا عن الزمان والمكان اللذين كان يرغب ان يراهُ فيهما فورد الينا جواب منهُ في صدرهِ الكلمات التي كان يصدر بها كتاباتهِ وما ياتي هو ترجمتهُ

بسم الاب والابن والروح القدس امين

تحرير ثيودوروس ملك الملوك الى الخواجات كنسلن وولدمير وبندر وبركو وموريز الحمد لله اني في تمام الصحة فكيف صرفتم وقتكم يا اصحابي واولادي الاعزا لقد تبين لي من تحريركم ان القدير لم يخيب مسعانا بل صادفنا نجاحاً وتقدماً بعونهِ تعالى . وكان الناس يستهزئون

بناو يضحكون علينا فباتوا في خزي وعار لان الله يحب
المومنين بهِ ولا يقطع املهم بل يعينهم في زمن
الضيق والشدة. فلا تخافوا يا اصحابي فان الله قد وهبني
هذا الملك فاطلبوا ما تريدون خلا كرسيهِ فاعطيكم
ما ترغبون ولا تخافوا فاني ابوكم وامكم ومحبكم وقد اغظتكم
سابقًا ولكن ليس لانكم فعلتم امرًا مغايرًا ولكن لان
الضابط سيدي اراد الفرار وقد اخبرني الولاة انهُ
اغراكم على ذلك ووافقتموهُ فصدقتهم اما الان فقد
نسيت كل شي وسامحت الجميع فارجوكم ايضا ان
تسامحوني فان الله الامين والصادق والقادر على كل
شيء قد ملا قلوبنا فرحًا وباركنا باطنًا وظاهرًا واعطانا
كل ما نحتاج اليهِ فاذا كنتم تقولون في انفسكم اننا تركنا
كل مالنا في اوروبا وتريدون ان تصرفوا حياتكم في
الحبشة فانا لا اتركم مادمت حيًا وساوصي ولدي مششا
الذي يرث العرش بعدي ان يعتني بكم وباولادكم وهو

يحرسكم الان ويعزيكم بنفسهِ واذا لاسمح الله داهمكم
مداهم نموت عنكم واذا قلتم اننا مشتاقون الى بلادنا
واهلنا وترغبون في الذهاب فاستشهد الثالوث
الاقدس بانني لااعارضكم ولا اقيم لكم مانعاً في الطريق
انهُ قداتانا المطران صموئيل كوبات من ايام قديمة وصرف
مدة طويلة في الحبشة ورجع الى بلادهِ آمناً من كل
الاخطار فكيف لايكون لكم انتم ما كان لهُ مع انكم انتم
قد علمتمونا وهذبتمونا وانرتم عقولنا بمعرفة المسيح
واتيتمونا باختراعات وصنائع عجيبة نحن الحبش المدعوين
حميرًا فمن يتجاسر ان يضركم يامعلمي الحبشة اولاد
ثيودوروس فلا تخافوا بل صدقوني يا اصحابي فاننا نعلم
ان التمدن والتروض في العلوم والتمرن في الصنايع
والسلطة والكرامة والجبروت لاتقدر ان تخلصنا من
الموت على اننا نعرف انهُ قد قيل لادم انك تاكل
خبزك بعرق وجهك وهذا يحملنا على الاستنتاج بان

عدم الاكتراث بالامور والاعتناء بالاعمال في هذه
البلاد هو خطية عظيمة اما الموت فلا بد منهُ فاين
نابوليون الاول بونابرتي الشهير ملك فرنسا الذي حصر
مدنًا كثيرة وفتحها واسر ملوكًا انهُ سقط من عرشهِ
واختفى واين قولا ملك المسكوب فانهُ كان جبارًا
ومن اعظم جهابذة عصرهِ وقد مات واين ملوك بني
عثمان العظام وملوك الانكليز والنمسا وفرنسا انهم
ماتوا جميعًا لم يتمكن احدهم من نوال مناهُ وهو
معلوم ان سنحارب ملك الاثوريين تكبر وتشامخ وتعظم
وسطا واقام لنفسهِ مسندًا من اللحم ليضطجع عليهِ لانهُ لم
يعرف الله فمات ايضًا وكذلك فرعون ملك مصر افتخر كثيرًا
وقسي قلبهُ على شعب الله وهو ايضًا قد غرق في البحر
الاحمر وغرق ايضًا الذين كانوا معهُ فماذا اقول اكثر
من هذا

بما انكم قد صاحتموني بعملكم فارسل اليكم الفي

ريال وهي اجرة قليلة ولكن عندما اتشرف بحضوري
بينكم اعطيكم اكثر من ذلك

هذا ويقتضي ان تعرفوا امرًا واحدًا وهو انهُ قد
قيل عني في اوربا انني لست بمستحق العرش وانني لست
الوارث الحقيقي ولكنني ابن ابوين فقيرين فارغب ان
اعرفكم بانني من نسل سليمان بن داود لانهُ لما ذهبت
ملكة سبا من اليمن لتسمع حكمتهُ تزوجها وولدت ابنًا
وملك على الحبش وانا من نسلهِ (ان الحبش يعتقدون
ان ملكة سبا اتت سليمان فتزوجها وولدت ابنًا ولما
رجعت الى بلادها وهي بلاد الحبش تبوأ ابنها تخت
ملكها ويدعي الملك ثيودروس انهُ من نسل سليمان)
فيمكنكم ان تعرفوا جميع ملوك اوربا بذلك ليصادقوا
على حقي في سلطنة الحبش وحق جلوسي على عرش
اجدادي واذا انكر احد ذلك ناظروهُ واقيم المناظرة
على كمية وافرة من الدراهم فيخسرها لامحالة لا اقول

هذا من اجلي بل من اجلكم لئلا تخجلوا بطاعة ملك
يختلس ملكًا لاحق لهُ بهِ وعلى كل حال الامر لله وهو
الذي يرفع من يشا ويضع من يشا (الختم مع ترجمة كتابتهِ)

وياحبذا لو كانت تلك الاوقات ناتجة عن افكار
ثابتة وحاسيات لا تتغير ولا ريب ان من طالع خبرنا
ووقف على التغيرات التي كانت تتغير علينا يتعجب
كل العجب لاننا كنا نصادف يومًا اهانةً ويومًا كرامةً
ويومًا عذابًا ويومًا راحةً فما كان لنا غير التسليم للتقادير
وكانت دولة تلك الايام السعيدة قصيرة كما قيل

ان الليالي للانام مناهلٌ تطوى وتنشر دونها الاعمارُ
فقصارهنَّ مع الهموم طويلةٌ وطوالهنَّ مع السرور قصارُ

الفصل الربع

وصول القبطان كميرون الانكليزي وموسيو بردل الفرنساوي والقونسلوس ليجيان الفرنساوي وغير ذلك

انهُ في شهر اب سنة ١٨٦٨ وهي السنة الرابعة لدخولنا الى الحبشة والثالثة لاقامتنا في غفت اتى الحبشة قبطان انكليزي اسمهُ كميرون ومعهُ كاتب فرنساوي اسمهُ بردل فاقاما اشهرًا كثيرة في غندار قبل ان تمكنا من مقابلة الملك الذي دعاهما اليهِ عند ما كان في ولاية ميتشا وهي واقعة في الجهة الجنوبية من نهر النيل ففرح بمقابلتهما واكرمهما واطلق لهما مدافع الاعتبار وكان القبطان المذكور مامورًا سياسيًّا ارسلتهُ الدولة الانكليزية للفحص عن قتل القونسلوس بلودن الذي قتلهُ العصاة في غندار بعد ان اقام في تلك البلاد سنين كثيرة فاعتبرهما الملك جدًّا واقام حديثًا سريًّا بينهُ وبينهما لخصوص

اما كان يتمناهُ منذ زمن طويل وهو اقامة الاتحاد بينهُ
وبين دولة الانكليز ودولة فرنسا فوعداهُ ببذل الجهد
في هذا السبيل وقالا لهُ انهما يرغبان في ان يريا الحبشة
متحدة مع بعض دول اوربا فسر الملك جدًّا بذلك وشرع
في كتابة رسالتين الى انكلترا وفرنسا بهذا الخصوص
طالبًا عقد المعاهدة بينهُ وبينهما ومد علاقات الصداقة
والوداد والمقصود من ذلك هو الحصول على مساعدتهما
في تمدن بلادهِ وتهذيب امتهِ ونشر العلوم وادخال
الاختراعات اذ انهُ كان ذا رغبة شديدة في الحصول
على ذلك فاعطى القبطان كميرون المكتوب الاول
ولموسيو بردل المكتوب الثاني ووهب القبطان الف
ريال وموسيو بردل خمسماية وطلب اليهما ان يبلغا
رسالتيهِ الى الملكة والامبراطور ثم صرفهما داعيًا لهما بالسلامة
والتوفيق اما القبطان كميرون فسافر الى بلاد السودان
لمنع تجارة العبيد في البلاد المصرية وبعث بالتحرير مع

قوم وسياتي ذكر النتيجة في مكانهِ

وبعد مجي القبطان المذكور بنحو شهرين الى تلك البلاد قنسلوس فرنساوي اسمهُ ليجيان وكان معهُ شاب انكليزي ذو شهامة وكرامة لطيف الخلق والاخلاق اسمهُ دفدون وكان هذا من المرسلين للتبشير في بلاد الكلاً ولكن لما راى ان اهل تلك البلاد متمردون على الملك ولذلك لا يقدران يقوم بحق التبشير اقام عندي بعض اشهر ثم رجع الى بلادهِ وقد بلغنا انهُ بعد ان اتى بلاد الانكليز رغب في الرجوع الى بلاد الحبشة فسافر بمامورية من الحكومة على ان الزمان لم يسمح لهُ بنوال مرغوبهِ بل امسى ضحية للصوص الذين قتلوهُ وسلبوا امتعتهُ امارفيتهُ ليجيان فاقام سالماً في بلاد الحبشة وقابلهُ الملك في دبرا طابور واكرمهُ واطلق لهُ مدافع الاحترام وعاملهُ كما عامل القبطان كميرون وبعد ان قابلهُ قدم لهُ ليجيان هدايا وهي قطع صغيرة من

المنسوجات الحريرية وغيرها من عمل كرخانة ليون
فسر الملك بذلك لانهُ ظن ان موسيو ليجان كان اراهُ
كلما كان معهُ منها ولما كنت انا الترجمان وقعت في
حيرة عظيمة لانني كنت اعرف ان ما قدمهُ هو كل
ما عندهُ من المنسوجات وفي اخر الامر انتبه ليجيان الى
غلطهِ وقدم للملك عوضًا عن المنسوجات ست غدارات
وهكذا فض هذا المشكل وكان ليجيان رجلاً عالمًا يعرف
الامور السياسية حق المعرفة وكان من المعلمين الماهرين
والشاهد ما قالهُ للملك وهو انني سعيد ايها الملك لانك
اكرمتني وكنت ارغب جدًّا في ان اتمكن من معرفة جلالتك
لانني قد سمعت عنك امورًا كثيرة مما يتعلق بعظمتك
واقتدارك فاحمد الله لانني حصلت على المرغوب ورايت
ما سمعتهُ عن الكرامة التي فقت بها جميع اجدادك
السعيدي الذكر الذين تبوأوا تخت الملك قبلاً فيا ايها
الملك ان سبب قدومي هو ان اباشر عقد عهود بينك

وبين الامبراطور نابليون امبراطورنا الذي يكون سعيداً
اذا حصل على ذلك ولا يخفى ان مصدر هذه الكلمات
هو الخداع على انها لم تجدِ المتكلم نفعاً لانهُ طرا عليهِ من
مصائب الزمان ونكباتهِ ما اخرهُ عن نوال مقصودهِ
وكان الملك يسمع هذا الكلام وهو غائص في بحار التفكر
واجاب ليجيان قايلاً ان الفرنساويين يقولون انهم لا
يعرفونني ملكاً على الحبشة ويقولون انني اختلست الملك
اختلاساً ومصدر ذلك هو الاب يعقوب الفرنساوي
الذي اقام مدة طويلة في هذه البلاد ونشر الاكاذيب
في فرنسا ولما كان في بلادي اتحد مع الذين تمردوا
عليَّ في تيكرى واقام عندهم وبشرهم وقرر من
الاكاذيب كل ما تمكن من تقريرهِ على ان الله سبحانهُ
وتعالى قد نصرني على اولئك العصاة المتمردين
واكد للناس اني ملك الحبشة ولست مختلسها كما
قيل في اوربا واتاني هذا القول الصادر عن كلام الاب

يعقوب النمام باحتقار الفرنساويين على انهُ اذا كانت
فرنسا قد اعتقدت بان لي حقًا بالتسلّط على الحبشة
اعتقد عهودًا بيني وبينها بدون تردد ولذلك قد ارسلت
موسيو بردل الى فرنسا والمظنون انهُ يرجع قريبًا اما
انت فاقم هنا الى ان يرجع المذكور فلما سمع ليجيان هذا الكلام
طاب نفسًا وقر عينًا وبعد ان تناولنا الطعام مع الملك
ودّعناهُ وذهبنا وقد خدع موسيو ليجيان نفسهُ اذ انهُ سر بما
قالهُ مع انهُ كان عالمًا ان ذلك انما هو بحسب الظاهر
فقط وعرف غلطهُ بينما كان ذاهبًا الى غفت وقال بهذا
الخصوص ان مقابلة الملك لم تاتني بفايدة لانني لو نجحت
لحصلت على هبات كثيرة وبعد ان اتينا غفت بمدة
قصيرة بلغنا ان الملك مصمم على محاربة بلاد غوتشم
لان بعضها اليها جاهروا بالعصيان عليهِ فارسل وسال
ليجيان قائلاً لهُ هل تبقى في غفت او ترغب في الذهاب
معي فسر ذلك ليجيان جدًا لانهُ كان يرغب في السياحة

والتفرج على البلدان التي لم يرها وعلى الخصوص لانهُ
كان من علماء الجغرافيا فاجاب الملك بالايجاب وتاهب
لمسفر اما كنسلن وسالمر وبندر فالزمهم الملك ان
يذهبوا معهُ فساروا في سبل المصائب والاخطار قاصدين
بلادًا لم يعرفوها وسار معهم ليجيان الى ان وصلوا الى
نصف بلاد العدو فخطر في بالهِ ان يسافر الى بلاد مصوع
ولا نعلم السبب الذي حملهُ على ذلك على ان المظنون
انهُ خاف ان يقيم لجج بحر الهلاك ولما كانت الطرق التي
كان مزمعًا ان يسلكها كثيرة الاخطار واللصوص اشار
عليهِ رفقاوهُ المذكورون ان يرجع عن عزمهِ لئلا يهلك
في بلاد غريبة وعلى الخصوص لان الملك كان قد
طلب اليهِ ان يقيم عندهُ الى ان يرجع موسيو بردل
من فرنسا فلم يصغَ الى كلامهم واصر على تنفيذ مقاصده
فعلم الملك بذلك وغضب جدًّا وكان ينصحهُ تارةً ويتهددهُ
اخرى ومع ذلك لم يرجع عن غيهِ ولكنهُ لبس ثيابهُ

الرسمية واتى الملك وطلب اليهِ ان ياذن لهُ بالذهاب
الى مصوع فلما راى الملك منهُ ذلك غضب جدًّا وامر
بتقييدهِ بالقيود ولا يخفى على مطالع هذا التاريخ ان
موسيو ليجيان المذكور امسى في حالة تختلف جدًّا عن
الحالة التي كان فيها عندما قابل الملك المقابلة الاولى
وجلس يتناول الطعام معهُ ويملئهُ بكلام فارغ وبعد
ان اقام في القيود اربعًا وعشرين ساعة استفاق من غفلتهِ
وعرف انه ارتكب غلطًا لا مزيد عليهِ فطلب الى موسيو
كنسلين ان يتوسط امرهُ عند الملك وتعهد بالخضوع
له وبالطاعة الكاملة فامر الملك بفك قيودهِ

ولقد نصحتك ان قبلت نصيحتي
فالنصح اغلى ما يباع ويوهبُ

فرافق الملك الى ان انتهت الحرب ورجع الى غفت
واقام هناك وبلغنا في ذلك الوقت ان موسيو سترن اتى
مصوع قاصدًا الرجوع الينا اما نحن فحزنا كلنا جدًّا عليهِ

لاننا نعلم ان الملك لم يكن منتظرًا ان يراهُ بعد ذلك
في بلادهِ على انهُ اتى مرة ثانية الى جندة ومعهُ مبشر اخر
اسمهُ روزنتال واقاما عند موسيو فلاد وفي ذلك
الوقت بلغنا ان القبطان كميرون الذي ارسلهُ الملك
برسالة طالبًا اليهِ ان يسلمها الى جلالة الملكة فيكطوريا
لم يقم بحق هذه المامورية بل ذهب الى بلاد السودان
كما ذكرنا سابقًا وبعد ان غاب مدة طويلة رجع الى
لحبشة وهولا يعرف ماذا حل بالرسالة فاضطرب
وارتبك جدًا وعلى الخصوص عندما قرب الزمان الذي
كان مزمعًا ان يقابل الملك فيهِ اما الملك فبعد رجوعهِ
ذهب الى جهة لجنوب الغربية . ولما اتى القبطان المذكور
بلاد الحبشة وذلك بعد مجيئنا اليها بخمس سنوات
اتانا موسيو هوسمن الذي كان يبشر في بلاد السودان وكان
مجيئهُ سنة ١٨٦٣ والذي حملهُ على زيارة بلاد الحبش
هو تغيير الهواء لانهُ كان قاطنًا بلادًا منخفضة تكثر فيها

امراض الحميات اما غنت محل اقامتنا فهي في بلاد
عالية وكان قاصدًا التكلم معنا بخصوص امور مهمة
ومفيدة متعلقة بالتبشير فاقام شهرين عندنا في غنت
والمدة الباقية في غير مكان ورغب جدًّا في
مواجهة الملك ولكنهُ لم يكن قادرًا على ذلك من تلقاء
نفسهِ لان محل اقامة الملك حينئذٍ كان بعيدًا عنا ولانهُ
لم يكن يعرفهُ فاستصعب مواجهتهُ وحدهُ فلما وقفنا على
شدة رغبتهِ راينا انهُ لابد من ان نسعفهُ في نوال مرغوبهِ
قاطعين النظر عن الطرقات والمصاعب واخطار الطريق
البعيدة فذهبنا معًا وذلك في فصل الشتاء فصادفنا اتعابًا
ومخاطر لم نكن نترصدها لان الانهار كانت تجري غزيرة
والوحول كثيرة وكانت مياه الانهر تجري فوق الجسور
ومن اعظم هذه الانهر نهر ريب ولهُ جسرٌ من حجر بناهُ
الملك سوسنيوس قبل ذلك بسنين كثيرة وهذا الجسر
لا يزال صحيحًا على ان المياه قد قذفت عليهِ حجارةً

وترابًا كثيرًا من الاراضي العالية ولما اتيناهُ كانت المياه
مرتفعة كثيرًا فوقهُ وكان المطر يهطل غزيرًا ولم يكن
قوارب تعيننا على عبورهِ فوقعنا في حيرة لامزيد عليها
وبينما نحن على تلك الحال اتانا رسول من والي غمدر وكان
من اصدقائنا فطلب الينا ان نبيت عندهُ الى ان
تنقطع الامطار وتقل المياه الجارية وكان مقيمًا في مكان
قريب من ذلك الجسر ولما تاكدنا انهُ لافايدة من
الانتظار عند الجسر اجبنا طلب الوالي واقمنا عندهُ
وكان هطل الامطار يزداد الليل بطولهِ ولما
اصبح الصباح وجدنا المياه متعالية جدًّا فوق الجسر
فالتزمنا ان نخلع ثيابنا وان نلفها في جلود من جلود
البقر وسبحنا كلنا ومعنا عشرة رجال من اهالي القرية
الكائنة بالقرب من النهر اما الذين لم يعرفوا السباحة
منا فاتوا باطواف مجدولة من القصب القوي يسمونهُ
شمباغو وركبوها وكانوا يجذفون بايديهم وارجلهم وبعضهم

امسكوا جرة بايديهم وسبحوا بها كما يسبح الانسان وهو
يتعلم السباحة بواسطة القرع فعبرنا جميعنا والتزمنا ان
نسير مسافة نصف ساعة خارج النهر في وسط مياه عمقها
اربع اقدام لان النهر كان قد طاف على كل الاراضي
المجاورة لهُ وسرنا كل ذلك اليوم في المياه وفي اليوم
الثاني اتينا مدينة داريتا وهي مدينة مشهورة عندهم وتجارتها
واسعة واهلها جميعهم من المسلمين وفيها ماذنة فاقمنا
يومين في تلك البلدة وحصلنا على راحة تامة ثم سرنا
الى الجهة الشرقية حتى اتينا مقاطعة اقوانا وكانت العساكر
مقيمة في جبالها فصعدنا على الجبل فرأينا جيشًا عرمرمًا
وخيلًا مضروبة لا تحصى ولا تعد وهي مصفوفة صفوفًا صفوفًا
طول صفوفها مسافة ثمانية اميال وعرضها نحو ساعتين
وكانت الاراضي كأنها خيول وجمال وبغال
واتينا غندار بعد خروجنا من غفت بخمسة ايام
وهذه المدينة هي قصبة بلاد الحبشة فبتنا تلك الليلة

فيها وفي اليوم الثاني اخذنا في الجولان في المدينة قاصدين
تفرج موسيو هوسمن عليها فراينا في تلك المدينة اثارًا
قديمة وغرايب كثيرة منها القلعة الحبشية وبيت شوقية
الذي كانت تسكنهُ الملكة منثواب قبل ذلك
الزمان بآماد متطاولة على انهُ يكاد يمسي خرابًا
اما كنيسة كوسكوم فلا تزال على ما كانت عليهِ من
الرونق وبعدان راينا اثار غندار سرنا قاصدين جندة
وكان مسيرنا في بلاد جميلة جدًّا بين المروج الخضراء
وتلال دمبيا المغطاة بالاعشاب وبعد ان سرنا يومين
الى الجهة الشرقية وصلنا الى جبل كوبكوبلا وهو يبعد
عن جندة مسافة مسير ربع ساعة الى الجهة الشرقية
وهو محل اقامة مسترفلاد فقابلناهُ وراينا اعمالهُ سارية على
قدم النجاح وكان عندهُ القبطان كميرون ومسترسترن
ومسترروزنتال وامراتهُ ومستر ستيكر ومستر برندیس
وكان قد نزل هذان المستران الاخيران من درنا محل

اقامتها الى جندة وبينهما مسافة نحو نصف ساعة ليزورا
مستر فلاد فاجتمعنا كلنا في محل واحد عند المستر المذكور
ثم ذهبنا قاصدين المثول امام حضرة الملك وبعد ان
قاسينا مشقات كثيرة وصلنا الى المكان الذي كانت
العسكر فيهِ بالقرب من جندة فراينا كثيرين من الذين
كنا نعرفهم من الجنود وسالنا عن الملك فقالوا انهُ
اتٍ بجيوشهِ الى جندة وانهُ كان حينئذٍ في اكرميدر
وكان قد اقام حربًا شديدةً في ذلك المكان وقتل من
العصاة نحو ثلاثة الاف رجل لانهُ هاجمهم وهم على غير
استعداد فاسرا كثرهم فلما عرفنا ذلك سرنا طالبين ملاقاتهُ
الى ان اتينا جميرة من مقاطعة داغناه فاقمنا هناك منتظرين
قدومهِ وعند المساء سرنا طالبين مواجهتهُ وسار امامنا
دليل ليدلنا على المكان الذي كنا قد اقمنا فيهِ فلما
رآنا لاحت على وجههِ لوايح الفرح والسرور لانهُ كان
قد فاز باعدائهِ ففتح الكلام معنا بقولهِ افرحوا فانني قد

بطشت باعدائي فان الله قد اوقعهم في يدي فافعل
بهم ما اريد وقد قتلنا منهم ثلاثة الاف رجل خلا الذين
لم نتمكن من القبض عليهم فقدمنا له التهاني اللايقة ثم اهداهُ
مسترهوسمن قنينة فيها بارود اتى بها من اوربا فاخذها وشكرهُ
ثم قال انني ساجازي خيراً مسترهوسمن لانهُ قد ابتدأَ
في فعل الجميل واعطاني هذه القنينة فاجبتهُ داعياً لجلالتهِ
بطول البقاء وشكرتهُ على انعاماتهِ بالاصالة عن نفسي
وبالنيابة عن ارفاقي وقلت لهُ ان اخوتنا المتحدين معنا
والمقيمين في ميسماهم مجتهدون في عمل الخير وتقدم الحبشة
في المعارف والعلوم والديانة ويطلبون الى جلالتكم ان
تتكرموا باعطاء تحرير توجه اللاخ هوسمن لكيلا يعارضهُ
احد اينما توجه فاجاب الملك على الفور طلبنا وامر بكتابة
التحرير وما ياتي صورة ترجمتهِ

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد
ثيودورس ملك ملوك الارض التي وهبهُ اياها

الله واستولى عليها بكلمتهِ القديرة . لا تاخذوا جزية ولا جباية من مستر هوسمن حامل الامر الشريف واذا رغب في المجي اليّ فلا تمنعوهُ وهو قاصد ان يسافر الى حيثما يشا مع قطع النظر عن رجوعهِ وعدمهِ

(الختم)

فاعطى الخواجا المذكور التحرير فخرجنا من عندهِ متوسلين الى الله ان يحميهُ من طوارق الحدثان وبعد ان واجهنا الملك بيوم اتاني تحرير من الخواجا ليجيان مالهُ انهُ قد مل من انتظار الخواجا بردل في غفت ولذلك يلتمس الى جلالة الملك ان يسمح له بالذهاب الى مصوع لان ليس في اقامتهِ في غفت فائدة

ويقول في هذا التحرير ان موسيو بردل هو خاين وخداع
وانهُ قد كذب على الملك وان امل رجوعهِ الى الحبشة
قليل فذهبت الى الملك بهذا التحرير وتلوتهُ عليهِ فتبسم
ولم يجب بشيء وبعد مدة قصيرة كتب اليهِ هذه الرسالة
وهذه ترجمتها

يا نجبان قد قلت ان بردل خائن وخادع فاين
برهانك فالظاهر انك حكمت بلا برهان ولذلك اقول
انك مخطي لابد من ان يظهر كل شي والله اعلم من
الجميع وهو يظهر الخفايا

هذا واني ساخبركم الان عن القصاص الذي كان
يقاص الملك بهِ المذنبين اذ اني رايت ذلك مرارًا كثيرة
فكان يامر بخلع ثياب المذنب ثم يتقدم اربعة رجال
وياتون بحبل طولهُ نحو خمسة عشر قيراطًا ويربطونهُ
بيديهِ ورجليهِ ويمسك كل من الرجال الاربعة طرفًا
من اطراف تلك الحبال ويتقدم جلاد وفي يدهِ سوط

من جلد فيجلد الرجل المربوط الى ان يكاد يخرج الدم
من كل جسمهِ وبعد ان يجلدهُ مئة جلدة يتركونهُ بين
حي وميت وقد مات كثيرون بهذا القصاص الشنيع
وهذا القصاص هو قصاص خفيف بالنسبة الى القصاصات
التي سنذكرها في محلها وقد ذكرت هذا القصاص
اذ اننا رأيناهُ ونحن في جميرة . وبعد ان اقام الملك
يومين في المحل المذكور رجع بجيوشهِ وبنا الى جندة فمثل
بين يديهِ القبطان كميرون ومستر سترن موكدين لهُ
احترامها وطاعتها وخضوعها فلم يعتبرهما الملك بل
نظر اليهما بعين الاحتقار وكان القبطان قاصدًا ان
يعتذر الى الملك عن اهمالهِ جواب تحريرهِ ولكنهُ لم
يتمكن من ذلك في هذه المقابلة وبعد ذلك بيومين
اراد ان يواجه الملك مرة ثانية وطلب اليَّ ان اتوسط
لهُ ذلك واترجم كلامهُ اذ انني كنت قد تعلمت حق
التعلم اللغة الامهرية وهي لغة الحبشة وكنت قد عاشرت

الملك حتى المعاشرة وكان يحبني اكثر من جميع الاوروبيين
ورغب في خيري فاتينا الملك معًا وكان القبطان
كميرون خائفًا ومضطربًا واشتد خوفهُ عندما قابلنا الملك
ورايناهُ جالسًا على الارض فلم نقترب اليهِ بل وقفنا
بعيدًا فدعانا اليهِ واجلسنا امامهُ ثم قال للقبطان كميرون
هل اتيت بجواب تحريري الذي بعثت بهِ الى ملكة
الانكليز لانهُ معلوم ان لكل خطاب جوابًا ولو
كان حاويًا سلامًا فقط فاجاب القبطان لا لم اقف
على جواب ولكن المامول انهُ يرد بعد مدة قصيرة فقال
الملك فاين صرفت هذا الزمان ولماذا لم تعتنِ بارسال
تحريري الم اهبك الف ريال لتوصلهُ راسًا الى الملكة
فاجاب القبطان انني ارسلتهُ الى وزارة الخارجية ثم ذهبت
الى بلاد السودان وانتظرت الجواب مدة طويلة فقال
الملك الم تعلم ان كثيرين من السودان كانوا متمردين عليَّ
فلماذا اتيت بلادهم فاجاب القبطان نعم عرفت ذلك

على أنني ذهبت الى هناكِ لقضاء بعد الاشغال فقال
الملك فاي متى يرد جواب من بلاد الانكليز فاجاب
القبطان انهُ يرد بعد شهرين بدون ريب فقال لهُ الملك
احسنت فقال القبطان ان معي صيادين بروسيانيين
فهل تاذن لهم حضرتكم بان يصطادوا في هذه الجهات
فاجاب الملك هل اسمح لهم بذلك ليتمكنوا من جس
بلادي انني لااخشاهم ولو هاجمني كل الاوروبيين وسنرى
ماذا يفعل الله فقال القبطان انني اوكد لحضرتكم ان
الانكليز يرغبون في ترقية اسباب صوالح الحبشة

وبعد ذلك ببعض ايام رجعت الى غفت تاركًا مسنر
هوسمن في جندة ورحل الملك بجيشهِ الى نواحي غندار
فضربت الخيام هناك اما الخواجات كميرون وسترن
وروزنتال فصرفوا الشتاء في تلك السنة وهي سنة ١٨٦٢
في جندة ولم يرتح بالهم في تلك المدة لانهم اصيبوا بما لم
يكونوا مترصدين مع ان الافرنج في ذلك الزمان كانوا

في طمانينة بالنسبة الى غير زمان وهكذا قد وقعنا في
صدر سبيل الاخطار وكانت البلايا تحيط بنا من كل
جانب ولما راينا القصاصات التي كان يجريها الملك
وقعنا في حيرة وخوف لا مزيد عليها فاضطربنا والسبب
ما ياتي وهو انهُ معلوم ان الخواجا سترن اغاظ الملك
باجراء امور تضاد قوانين الحبشة وكان قد ودع الملك
في جندة وذهب قاصدًا السفر على انهُ اخطا بالاقامة
بعد الوداع مدة طويلة وكان موسيو بردل الذي
ذهب الى فرنسا حاملاً التحرير الذي بعث بهِ الملك
تيودورس الى نابوليون قد رجع بعد ان غاب مدةً
طويلة وكان ليجيان قد وشى بهِ امام الملك في غيابه وقال
انهُ خاين فابقاهُ الملك عنده الى ان يرجع موسيو بردل
ويتمكن من الوقوف على الحقيقة اذ انهُ كان قد قال
عند وصولهِ الى الحبشة انهُ مامور باقامة العلاقات بينهُ
وبين فرنسا وبعقد العهود وهذا شوش افكار الملك فعند

مارجع بردل قابل الملك فلاطفهُ وترحب بهِ اذ انهُ
ظن انهُ قد اقام بحق ماموريتهِ وقرر اتحادًا بينهُ وبين
فرنسا على ان الجواب الذي اتى بهِ الموسيو المذكور كان
بخلاف انتظارات الملك وكان محتويًا على ما يغيظهُ اذ
ان الامبراطور يطلب اليهِ في ذلك التحرير ان يطلق
حرية الاديان وان يمتنع عن محاولة اقامة الحرب مع
العساكر المصرية وان يحمي مايملك بالسيف من الاخطار
ولم يكتفِ موسيو بردل بذلك بل طلب اليهِ شفاهًا
ان يمتنع عن مقاصة الذين يقعون تحت نيران غضبهِ
بقطع الايدي والارجل فلما سمع الملك ذلك غضب
غضبًا شديدًا وقال هذا هو جواب تحريري اللطيف
فان كان هو احسن ما عندهم فالاوفق ان لا يكون
موجودًا واخذ يشتم الامبراطور ويلعنهُ ثم طلب ان ياتي اليهِ
ليجبان وجميع الافرنج الى غندار فلما بلغ ذلك ليجيان
ضطرب جدًا وخاف خوفًا لامزيد عليهِ حتى انهُ كاد

يغيب عن الصواب لانهُ لم يعرف ماذا يحل بهِ بعد ان
اتى بردل وبرر نفسهُ فكان يقول تارةً اني ساذهب الى
الملك والاخرى لا بل ساطلب الفرار ففر هاجرًا البلاد
وعابرًا انهر تقاسيا وهكذا غاب عنا نجم ابي ذنب الذي
لم يظهر في الحبشة الا لياتينا بالنحس على انهُ لم تغب اثار
شرورهِ التي اتتنا بالويلات والدواهي وياحبذا لو لم يطلع
في افق النحوس ولما اتى مصوع بعث الى الملك تحريرًا
بهِ يستهزئ بالملك ويتهددهُ ولم يفتكر ذلك الرجل بان
هذا التحرير ياتي الافرنج المقيمين في بلاد الحبشة
بالاتعاب والدواهي فلما قرا الملك ذلك التحرير هاج
غضبهُ على الافرنج واراد الانتقام منهم وامسى في ارتباك
لانهُ كان قد تبرهن لهُ بانهُ اذا غض النظر عن الافرنج
ياتون بلادهُ ويقيمون فيها وعند ذهابهم منها يستهزئون
بهِ ويضحكون عليهِ كما فعل ليجيان فعزم على مجانبتهم
بقدر الامكان وبعد ذلك ذهب الى بلاد كلاً لاقامة

حرب وذلك في تشرين الاول سنة ١٨٦٢ فلم ينتصر
بل رجع خايبًا فاتاهُ تلك الليلة بعد رجوعهِ من الغزو
بالصدفة موسيو سترن الذي كان قد ودعهُ منذ ثلاثة اشهر
وكان الملك ظانًا انهُ قد سافر قبل ذلك الوقت
بزمان طويل فنظر اليهِ الملك نظرة تحير وتعجب
وقال لهُ الا يزال هذا الكوكب في افقنا حتى الان اني
ظننت انك قد سافرت منذ مدة طويلة فلماذا بقيت
الى هذا الوقت ولم تذهب عنا فلم يفهم مستر سترن
كلام الملك لانهُ لم يكن يعرف اللغة الامهرية وكذلك
الملك لم يكن يعرف لغة مستر سترن فحدث ارتباك من
جرى ذلك وقال الملك لخدامهِ الا تعرفون انهُ لا يجوز
ان يوتى برجل غريب اللغة اليَّ بدون ترجمان فلماذا
ادخلتم هذا الرجل الى هنا وشتمهم وتهددهم ثم امر بجلدهم
فجلدهم الجلاد جلدًا شديدًا جدًّا فمات احدهم حالاً ومات
الاخر في الليل وكان مستر سترن ينظر الى المجلودين

وفرايصهُ ترتعد لانهُ كان يظن ان نوبتهُ تكون بعدهما وما
من مجير ولا نصير فوقف منتظرًا نصيبهُ ولما راى الجلاد
ذينك المنكودي الحظ عض على شفتيهِ من شدة الخوف
ويحسب الحبش ذلك طلبًا للانتقام فظن الملك انهُ راغب
الانتقام منهُ فهاج غضبهُ عليهِ وقال ماذا ياترى يريدان
يفعل لي هذا الحمار الابيض (يعني الاوربويين) فاني اراهُ يعض
على شفتيهِ فامر بجلده ولم يكفوا عن الضرب حتى امرهم الملك
ولو كان مستر سترن حبشيًا لمات لامحالة ولما رفع عنهُ
الضرب استفاق بين حي وميت من شدة الالم
فلما رآهُ الملك على تلك الحال سمح لهُ بالانصراف من
بلادهِ غير انهُ اقام فيها مدة منتظرًا شفا جراحاتهِ ويا حبذا
لو سافر قبل شفايها فانهُ وقع في حفرة اشر من الاولى
فان الملك وقف على تحرير كان قد كتبهُ سترن وتحارير
اخرى كتبها غيرهُ من الافرنج ضد الملك وسبب ظهورها
هو موسيو بردل فان سترن كان قد اطلعهُ عليها وكان

الملك يحب بردل ويلاطفهُ والذي حمل سترن على تلاوة هذه المكاتيب هوا لطلب الى بردل ان يعلمهُ ما يمكّنهُ من تخليصها من دايرة الرسومات وكان ذلك سبباً لوقوعهِ في مصائب كثيرة بعد ان كان حصل على رخصة بالذهاب وهذا هو عين الخطا وعدم التبصر في عواقب الامور وعلى الخصوص لان مامورين الرسومات لا يفتشون الافرنج ولكن لا مفر من قضاء الله لانهُ لما طالع بردل تلك الاسطر اظهرها للملك بدون ان يبالي بما يحل على رفقائهِ من الويلات

احذر عدوك مرة واحذر صديقك الف مرة
فلربما خان الصديـ ـق فكان اعلم بالمضرة

فامسى الافرنج في ذلك الزمان محاطين بالبلايا والمخاطر فانهم كانوا في بلاد بعيدة تحت سطوة ملك لا يراعي حقوق الصداقة والقرابة عندما يشتد غضبهُ واذا رضي عن احد يفرغ كل الوسائط التي يقدر ان يستعملها

اظهارا لرضاهُ وارضاءً للذي يجب ان يرضيهُ . ولما سمع
بخبر تلك الرسائل ارسل رجلاً اسمهُ بيرو وفتش
الرسالات المذكورة فوجد رسالة الخواجه سترن
وتحريرين اخرين احدهما من قلم الخواجه روزنتال
والاخر من قلم امراة مستر فلاد وهو تحرير بعثت بهِ
اليهِ قبل ذلك الزمان بنحو سنتين عند ما كانت مع
مستر سترن في بلاد الانكليز وكان لا يزال معهُ لسوءِ
الحظ وقبل ان يسمع الملك قراة ترجمة هذا التحرير ارسل
جنوداً الى جندة ودرنة لياتوا بمستر روزنتال وبجميع
الافرنج الى غندار فالقوا القبض على روزنتال وامراتهِ
وامراة فلاد واولادها اما زوجها فكان في غندار مع
مستر برندس وصار القاء القبض ايضا على كرنيليوس
وامراتهِ وعلى مستر هوسمن وحجزوا جميع مقتنياتهم
واتوا بكل هولاء القوم الى الملك فوقف موسيو بردل في
الوسط وشرع في ترجمة هذه التحارير وقراءتها بصوت

مرتفع على مسامع كل الحاضرين وكان جمهور غفير من
العسكر والاهالي ينتظرون قصاص الذين اغاظوا
الملك بالنوع الذي كانوا يظنون انهُ سيقاصهم بهِ
وكذلك نحن كنا ننتظر حلول رزايا يصعب علينا ان
نخمن عليها وكنا نظن انهُ سيعذبهم عذاباً شديداً لانهُ كان
قاسياً جداً في وقت الغضب وكثير الحلم في وقت الرضى
وهو معلوم انهُ لايحق لنا ان نرمي الملك بسهام اللوم
والشجب لان الذي حدث انما حدث بخيانة الافرنج
لانهُ لولم يخبر بردل الملك عن هذهِ الكتابات لما وصلنا
الى ما وصلنا اليهِ ولا ريب ان مصدر الكتابات التي
كتبت ضد الملك انما هو الحماقة والعدوان لانهم اتوا
بلادهُ وحازوا منهُ كل الالتفات والامتياز ومع ذلك
كانوا يكتبون عدة كتابات لاتخلو من المبالغة اما
ملخص رسالة مسترسترن فهو كما ياتي · ياثيودورس
كيف يحق لك ان تدعي بانك من سلالة ملوكية مع

ان املك ليست غير بايعة القوسو (ان القوسو هو من
العقاقير التي يستعملونها دواء للدود والذين يبيعونهُ
غالبًا هم من الفقراء وهو مرٌّ جدًّا حتى ان الحبش يكادون
يتقيئون عند ذكرهِ) وانت رجل بربري ذو قلب قاسٍ
تسفك دماء العباد كما تصب الماء من الابريق ولا
يحزنك ذلك لانك ذو طبعٍ وحشيٍّ. ولما سمع الملك
ذلك كاد يغيب عن الرشد واضطرمت نيران غضبهِ
كل الاضطرام ولاحت على وجههِ لوائح لا يقدر القلم
ان يقوم بحق وصفها ليس لانهُ قال عنهُ انهُ قاسٍ ولكن
لانهُ طعن في حسبهِ ونسبهِ ولقَّبهُ بالقاب دنية.
فامسى منظرهُ مخيفًا وعيناهُ كانهما نيران متقدة وصار
جسمهُ يرتجف من شدة الغضب وقال اهذا هو المبشر
الذي اتى ليرشد الامة البربرية اهذه هي مجازاة الجميل
ما اقبح خيانتهُ كيف تجاسر ان يكتب هذه الكتابة ضدي
بعد ان انعمت عليهِ انعامات كثيرة انهُ رجلٌ كنود.

اما ملخص تحرير امراة فلاد فهو ان الملك قد غير ما كان عليهِ من الاخلاق الاسدية والشهامة وامسى يفعل فعل الفهد الذي لا يرتوي ولو شرب دماً كثيرة وليس فقط ذلك ولكنهُ قد خلع اثواب الادب ولبس اثواب السفاهة وتوغل في معاشرة النساء مسلماً امرهُ اليهن . والتحرير الثالث هو تحرير روزنتال وكان ملفوفاً فيهِ مكتوب كتبهُ الملك الى وكيل قونساوس الانكليزي في مصوع الذي كان من اصدقائهِ القدماء واسمهُ بروني وما ياتي هو ترجمة الملك . ادعوك اليَّ ايها الصديق العزيز فارجوك ان تاتينا عن قريب . والمقصود اقامة تذكار للقونساوس بلودن المقتول فانهُ كان من اصدقائهِ وكان روزنتال لا يعرف اللغة الامهرية حق المعرفة فاخذ المكتوب وترجمهُ هكذا هلمَّ اليَّ ياصديقي لنسكر سكرةً شديدة . وزاد على ذلك من كلامهِ ماياتي وهو . انني اجتمعت بالملك

الاسود الاجتماع الاول فوجدتهُ رجلاً بربريًّا متوحشًا
خاليًا من الادب والحشمة وهو من اوباش القوم وذو
سلوكٍ ردي . ولما سمع روزنتال هذا ادعى انهُ رغب في
ان يشبه الملك بالاسد الشجاع على ان الملك لم يصدقهُ
لان هذه الاعتذارات لا تستر ذلك الكلام الواضح .
وهكذا امسى الافرنج في ويل وهوان وزالت عنهم
اسباب الامنية وباتوا متعلقين برحمة الملك ثيودوروس
الذي كان ذا عنفوان لا يشفق على الذين يقعون
تحت غضبهِ ولا يخلصهم منهُ الا قوة الله العجيبة . ولما
راى الافرنج منهُ ما راوا سلموا امرهم الى الله بعد ان قطعوا
الامل من الحيوة . وبعد ان فرغ الملك من قراءة هذه
التحاريرقال بصوت مرتفع . يا ايها الافرنج لقد اكرمتكم
كل الاكرام واعتبرتكم ووهبتكم الهبات الكثيرة الم
اسمح لكم بما ترغبون الم أأذن لكم بالتبشير فلماذا تجازون
الخير بالشر وتكتبون ضدي في تحاريركم وتلبسون

اثواب الحملان وتظهرون لي الصداقة والمحبة يامراؤون
ياكذابون يا اوباش يا اولاد الشقاء لا اعتبار لكم
عندي بعد مافعلتم ماقدفعلتم انتم اعدائي وانا ابغضكم
وفي ٢٠ تشرين الاول سنة ١٨٦٢ وهي السنة الخامسة
من دخولنا بلاد الحبشة والاولى من اسر الافرنج اقيمت
المحاكمة واجتمع جميع اعضاء المجلس والافرنج واتى
كثيرون من الاهالي فشرع مستر سترن في المدافعة
عن نفسهِ وسلك في ذلك مسلكًا غير مناسب اما
روزنتال فسلك سبيل التواضع وقال انهُ كتب ما
كتب لانهُ كان يجهل الامر وبعد نهاية المحاكمة حكم
بالموت على سترن وروزنتال بحسب القوانين الحبشية
وبحسب ميل اعضاء المجلس الذين يبغضون الافرنج
جدًّا فحرضوا الملك على قتلهما فامسيا بدون معين غير
ان رجلاً حبشيًا اسمهُ كنتيباهيلو وقبطان كميرون
ونحن طلبنا الى الملك ان يعفو عن قتلهما فاجاب طلبنا وامر

بسجنها مقيدين اما مسترهوسمن فلم يقم الملك الحجة
عليهِ معهم لانهُ لم يكن عارفًا بما جرى فانهُ كان قد اخذ
تذكرةً من الملك وطلب السفر قبل ذلك بزمان
طويل على انهُ جرى ما منعهُ عن المسير فاستاذن من
الملك ثانية وسار في طريقهِ آمنًا وتاركًا روزنتال وسترن
مقيدين في السجن اما فلاد وبرنديس فسجنا بلا قيود
اما نحن فرجعنا الى غفت وشرعنا في اعمالنا بكل اجتهاد
ورغبة وفي تلك السنة وردت تحاريرمن وزارة الخارجية
الى القبطان كميرون ولكنهُ لم يرد جواب لجهة الملك
ومآل بعض هذه التحاريرانتقال القبطان المذكور الى
مصوع بدون ان يخسر وظيفتهُ فاخذ في التاهب
للسفر وقصد الذهاب فاخبر الملك عن التحرير الوارد
فغضب ثيودورس من ذلك وداخلتهُ افكارٌ ردية
لجهة الافرنج لانهُ كان منتظرًا جواب تحريرهِ الذي ارسلهُ
الى فيكتوريا على يد القبطان المذكور ولم يرد لهُ جواب

وامر بسجن القبطان كميرون واتباعهِ وهم كيريس ومكلواي
ومكرر وشكرواسلر واصدر الاوامر بتشديد السجن على
فلادو برنديس فامسى هولاء جميعاً في اسر ثيودورس
الملك وفي شباط سنة ١٨٦٤ وهي السادسة من دخولنا
بلاد الحبشة امر الملك بذهاب الافرنج المقيمين بغ
غفت الى غندر لقضاء بعض اشغال وقال لنا اطلبوا
ما تريدون فلم نطلب غير اطلاق الاسرى فاجاب
واطلق الجميع خلا كميرون وسترن وروزنتال لانهُ
على عولاء الثلاثة غضب الملك جدًّا وبعد ان انهينا
العمل رجعنا الى غفت ورجع معنا الاسرى الذين
كان قد اطلقهم وبعد مدة قصيرة بلغنا ان الملك
اخذ في تعذيب الاسرى مخالفًا بذلك القوانين
والاصول وانهُ امر بلف خيطان على كتفي كل منهم الى
كفيهِ ومن افخاذهم حتى اقدامهم وشدوا اللف حتى
خرج الدم من تحت اظافرهم وسبب كل ذلك ما

كتبهُ عنهُ سترن من انهُ ابن بايعة القوسووي في شهر
تشرين الثاني في السنة المذكورة نقل هولاء المسجونين الى دبره
طابور فاجتهدنا كل الاجتهاد في الحصول على اطلاقهم
لانهم كانوا قريبين منا ولكنهُ لم يجب طلبنا وفي تلك
الاثناء اتى الملك وزارنا في غفت فطلبنا اليهِ شفاهًا ان
يطلقهم فوعدنا بذلك لانهُ كان يريد ان يرضينا وقال
لنا انني ساطلقهم في هذه الليلة او في الغد وفي نفس
تلك الليلة وردت اليهِ اخبارٌ مآلها ان الانكليز
قادمون ليقيموا عليهِ الحرب فاضطرب وبات في
انزعاج وقلق وعند الصباح ارسل وقال لي انني لا اقدر
ان اطلق الاسرى في ظروف كهذه وامر بنقلهم الى عجدلا
فبقوا فيها الى سنة ١٨٦٦ وكان موسيو فلاد يعتني بهم
ويعولهم وكنا احيانًا نرسل لهم ما يلزمهم وبعد ان اقاموا
مدة في السجن طلبنا اليهِ ان يطلقهم واذا تعسر ذلك
ان يامر بمعاملتهم بالرفق وقلنا لهُ اذا كانت افكارك

مرتاحة من جهتنا نحن الموجودين في غفت وتحبنا وتعتبرنا نرجوك ان ترفع عنهم المعاملة بالقساوة

الفصل الخامس

مجي موسيو رسام من انكلترا ليطلب اطلاق الاسرى وغير ذلك

انهُ لما بلغ الدولة الانكليزية اسر الذين اسرهم الملك ثيودورس الحبشي ومعاملتهم بحسب ارادتهِ بادرت حالاً الى ارسال سفير ليخلصهم فبعثت موسيو رسّام وهو من الذين توطنوا في الشرق وتربوا تربية انكليزية فاتى الحبشة ومعهُ الدكتور بلنك والملازم بريدو فوصلوا في كانون الثاني سنة ١٨٦٦ وهي السنة الثالثة من اسر الافرنج فطلبوا الى الملك ان ياذن لهم بالدخول الى البلاد فاذن واعتبرهم جدًّا عندما قابلهم المقابلة الاولى فسلمهُ موسيو رسام مكتوبًا بعثت بهِ اليهِ

حضرة ملكة انكلترا وهو لجهة الاسرى وملخصهُ ان
موسيو رسام رجلٌ متصفٌ بالامانةِ والصدق ومحبة
الخير وتقدرون ان تركنوا اليهِ وتستشيروهُ في هذه
الامور وان تعقدوا معهُ معاهدة ولم يصر ترجمة هذا
المكتوب ترجمةً صحيحة الى اللغة الانهرية بل ترجمةُ
المترجم كما ياتي . نحن نسلمكم الخواجه رسام وهو رجل
عظيم ومطيع ومن واجباتهِ ان يتم كلما تطلبون اليهِ
تتميمهُ بدون تاخر فلما سمع الملك ذلك حسبهم عبيداً
لهُ وظن ان كل العالم تحت سلطانهِ وقال لقد سررت
اذ ان الانكليز ارسلوا اليَّ رجلاً معتبراً كهذا ليكون تحت
سلطتي اذ انهُ يعادل كل الاسرى ثم وهب موسيو رسام
عشرة الف ريال ليعقد المعاهدة معهُ وامر حالاً باطلاق
الاسرى من مجدلا وتسليمهم الى السفير المذكور وعندما
سمع موسيو رسام ذلك فرح فرحاً لامزيد عليهِ وبنى
قصوراً شاهقةً من الامال اذ انهُ ظن انهُ سيحوز

انعامات كثيرة في انكلترا بعد رجوعهِ وكان لا يعرف ما
اضمرهُ الملك لهُ من السوء وانهُ لم يسمح باطلاقهم الا بعد أن
تاكد ان مستر رسام امسى تحت سلطانهِ المطلق ولما
راى السفير المذكور انهُ حصل على اطلاق الاسرى
شرع في التاهب للسفر معهم غير مبالٍ بما قلناهُ لهُ
لجهة نوايا الملك فكان لا يعرف نوايا الملك والملك لا
يعرف نواياهُ ولما عرف الملك انهُ عازمٌ على السفر
غضب جدًّا ولكنهُ لم يظهر لهُ غضبهُ بل الزمهُ ان يتمم
الامر الملوكي باقامة الفحص على ذنوب الماسورين وقال
انهم جميعًا مجرمون ولذلك طلب اليهِ ان يعفو عنهم
وان يغفرلهم فاجابهُ ولكن بعد ان كان حكم عليهم بحسب
قوانينهِ وسمح للسفير المذكور ان يفعل ما يشاء بهذا
الخصوص وقال لهُ انهُ لا دخل لهُ بذلك فيما بعد والظاهر
انهُ اراد ان يحوّل كل شيء متعلق بالافرنج الى الخواجه
رسام ليقوم مقامهم في اخر الامر اما موسيو رسام فاصرّ

على السفر وفي ذات يوم دعينا الى سيكي وهي بلدة مبنية
في الجهة الجنوبية من بحيرة زان وكان المقصود من ذلك
عقد جمعية افنجية فذهبنا جميعنا اليها وعند ذلك
اراد الملك ان يقف حق الوقوف على افكار موسيو
رسام لجهة رغبتهِ في السفر وعدمها فاجاب السفير انني
راغب في السفر الى اوروبا مع الاسرى فسكت الملك
وقتاً قصيراً بعد ان سمع جواب السفير ثم طلب الينا
ان نلاحظ هذا الامر ولما كنا من اصدقاء موسيو
رسام وراغبين جداً في اطلاق الاسرى المنكودي الحظ
الذي كان الملك يعاملهم بالقساوة اشرنا على الملك في
اجتماعنا ان يسمح لمستر رسام بالسفر فلم يقبل هذا
الراي لانهُ ظن انهُ اذا اطلق سبيلهم لا يبقى عندهُ من
يركن اليهِ في امر عقد المعاهدة مع الانكليز. ولما راى
مستر رسام انهُ لا سبيل الى الخلاص قال للملك انني
اذهب لاستشير دولة الانكليز بخصوص المعاهدة ثم

ارجع الى الحبشة فلم يرتضِ بذلك ولا اذن لهُ بالانصراف
مع اننا قدمنا انفسنا كفالة وبعد ذلك انقسمنا الى قسمين
قسم اراد ان يرسل مع الاسرى الدكتور بلنك والاخر
اراد ارسال مستر رسام وبعد ان انفضت الجمعية المذكورة
امرنا الملك ان نرجع الى كوراتيه وهي مدينة مبنية في
الجهة الشمالية من بحيرة ذان فاتينا بعد ان عبرنا النهر
في قارب صغير واخذ مستر رسام في الاستعداد للسفر
وكتب للملك قايلاً لهُ انهُ قاصد ان يذهب وان مراده
ارسال الذين كانوا ماسورين الى جلكا وبعد ذلك
ينتظر تذكرة السفر ثم يذهبون جميعهم الى مصوع والظاهر
ان الملك قبل ذلك قبولاً ظاهرًا واضمر الشر فامر
القبطان كميرون مستر سترن والباقين ان يسافروا
بعد ان احتملوا اثقال الاسر زماناً طويلاً ففرحوا جدًّا
بذلك ورتلوا تراتيل الحرية والغبطة وقصدوا ان يسافروا
في الطريق الذي امرهم رزم ان يسافروا فيها وظنوا

انهم قد خلصوا من نوائب الزمن على ان ذلك كان وهمًا
فقد اصابتهم مصائب كثيرة بعد ذلك

يعاندني دهري كاني عدوهُ وفي كل يوم بالكريهة يلقاني
تدور بيَ الايام يمنًا ويسرةً اذا سرَّني يومٌ يكدرني الثاني

فانهُ بعد ان ظن موسيو رزم انهُ قد نال ما يرغب نوالهُ
مركنًا الى الملك اتى هو والدكتور بلنك وبريد
وساكي وكان الملك هناك هو وعسكرهُ فدخلوا عليهِ
ودخلنا معهُ وكنا نرى الاهلين ينظرون الينا بعين الغدر
ووجوههم عابسة فتبين لنا انهم يرغبون في الانتقام منا
ولما عرف الملك ان مستر رزم قد اتاه ذهب الى مكان
اخر لانهُ لم يرد ان يقابلهُ وارسل اليهِ رسولاً يسالهُ
السوالات الاتية هل اتيت اليَّ اتيان صديق ذي وداد
او اتيان عدو غدار وهل ترغب اطلاق الاسرى برضاي
او غصبًا عني وكان الملك قد اذن باطلاقهم ومع ذلك
سالهُ هذا السوال والظاهر انهُ امسى قاسيًا كفرعون

عندما كان الله يقسي قلبهُ فاجابهُ مستر رزم قايلاً بكل
اتضاع وخضوع الله اكبر شاهد انني لم احاول اطلاقهم
بنوع يضاد ارادتكم السنية ولكن رغبت في ذلك لرضاكم
وصفو خاطر حضرتكم فاجابهُ الملك لو كان ذلك
صحيحًا لاتيت بهم اليَّ لاودعهم وداع الحبيب للمحبوب
والظاهر انك ترغب في ان تتعظم في الحبشة وان
تعجب بنفسك وهذا لا يليق وهو مما يغيظني ويشعل
نيران غضبي عليك فقال لهُ مستر رزم انني قد اسات
التصرف واذنبت الى حضرتكم وقد شعرت بتقصيراتي
فاطلب اليكم ان تعفو عني وعذري هو عدم معرفتي
عادات هذه البلاد فقال لهُ الملك ان يقيم عندهُ في
الخيمة الى ان ياتيهُ بالاسرى الى ساكي مقيدين ولما حضروا
امام الملك شرع في فحصهم فحصًا ثانيًا فكان كل منهم
يقرُّ بذنبهِ ويعترف بقصورهِ وبعد ان اقروا جميعًا بذلك
شرع مستر رزم وارفاقهُ يتوسلون الى الملك ان يعفي عنهم

اكراماً للمسيح وهكذا اقاموا بينهم وبين الملك صداقة
جديدة فامر بفك قيودهم وبعد ان فعل الملك ما فعل
اخذ يذم الحبشة ويقول انهم جهال وعميان لا يبصرون
سبل الادب ومتوحشون ثم قال لمستر رزم بما اننا قد
تصالحنا اطلب اليك ان تكتب الى ملكتكم الفخيمة وتتوسل
اليها ان ترثي لحالنا وتنقذنا من ظلام الجهل المخيم علينا
بارسال قوم من لدنها ليعلمونا العلوم والصنايع وعند
ذلك لا اتاخر عن اجابة طلبها باطلاق الاسرى وتسليمهم
اليك وبناء على ذلك ارسل الملك مستر فلاد الى
انكلترا في ١٧ نيسان سنة ١٨٦٦ وابقى عندهُ رزم
وجميع الافرنج واقام في ساكي الى شهر حزيران ثم اتى دبرا
طابور المبنية في مكان مرتفع والذي حملهُ على الذهاب
اليها هو خوفهُ من الهواء الاصفر الذي امات كثيرين
من الاهلين فالتزمنا نحن ايضاً ان نذهب معهُ الى هناك
وكنا نسير في الطريق والموتى مطروحون على جانبي

الطريق وامامنا ووراءنا وكانت رائحة الجثث البالية
تضربنا وتكدرنا جداً ولولا عناية الله المخصوصة لهلكنا
كما هلك غيرنا ومما زاد كدرنا وحزننا هو ما كنا نراهُ
من الذين كانوا مطروحين في الطريق وفي جوانبها
قبل ان يموتوا من التوجع وما كنا نسمعهُ من الانين
وعند ذلك تذكرنا ما قال صاحب الزبور في المزمور ٩٠
العدد العاشر يسقط عن جانبيك يميناً وشمالاً الوف وربوات
ولكنها لا تقترب اليك . وبعد ان اتينا دبر اطابور واقمنا
فيها مدة قصيرة اتى الملك كاهن ارمي حاملاً مكاتيب
كثيرة فلم نعرف مصدرها ولا مآلها غير انهُ بعد ان
تلاها بمدة قصيرة دعا اليهِ مستر رزم وقال لهُ قد سمعت
ان الانكليز عازمون في عمل طريق حديدية تمر في سواكين
وكسلا وانهم عازمون على ارسال جنودهم الى الحبشة
ليسلبوا مني الملك ولذلك لا اقدر اركن اليكم من الان
فصاعداً والظاهر ان تلك التحاريرا تتهُ بهذا الخبر على

انهُ لم يصدق هذا الخبر كل التصديق وقال الاوفق ان
نصبر لنرى اذا كان ذلك صحيحًا اولا هذا ولا نعلم ماذا اخطر
ببالهِ المتقلب بعد ذلك فانهُ امر بالقاء القبض على رزم
وبلنك وبريدو وكميرون وسترن وروزنتال وكمارتس
وكندوا واتى بهم الى مجدلا والقاهم في السجن مقيدين
اما الباقون اي زندر وبندر وميروسا لمروكمارزوبوركندر
وانا وغيرنا فبقينا في غفت اما مستر كنسلن فكان قد
توفي في شهر شباط سنة ١٨٦٥ بعد ان مرض زمانًا
طويلاً وكان الملك مجتهدًا في بناء كنيسة لما كنا في
دبرا طابور فاقتضى لتاسيسها اتعاب ومشقات كثيرة
لانها كانت من الابنية المتينة وبعد ان فرغ من
بنايها رجع الى غفت سنة ١٨٦٧ وصرف فصل الشتاء
فيها وما ذلك الا من سوء حظنا لانهُ كان يحملنا اثقالاً
كثيرة في صنع ما كان يرغب في عملهِ ليلاً ونهارًا
بدون ان يرحمنا او ان يشفق علينا بل كان يعاملنا

معاملة العبيد وتبين لنا انهُ قد غير سياستهُ فانهُ كان يضمر لنا الشر بعد ان كان يحبنا محبة شديدة ورغب في الانتقام من جميع الافرنج بدون استثناء فامرنا ان نصب لهُ مدفعاً كبيراً طولهُ سبعة اقدام فبادرنا الى اجابة طلبهِ بدون اهمال والتزمنا ان نتكبد ما في هذا العمل من المشقات وكنا لا نتجاسر ان نخالفهُ في مثل ذلك الزمان وبعد ان احتملنا ما احتملنا من الضنك والتعب ومزاجنة صبيٍّ مرة بعد مرة عملنا لهُ المدفع المطلوب وكان يترصدنا ليتمكن من ايجاد ذنب ولو كان صغيراً ليقيدنا كما قيد الاخرين على ان الله سبحانهُ وتعالى كان يحمينا ويدفع عنا الشرور التي لم نكن نستحقها

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدراً فالظلم اخره ياتيك بالندم
نامت عيونك والمظلوم منتبهٌ يدعو عليك وعين الله لم تنم

ولم تكن هذه الضيقات كل ما كابدناهُ في ذلك الزمان ولكنهُ دهمتنا مصائب من جهة اخرى لانهُ كان

قد فرغ ما كان عندنا من النقود ولم يكن الذين يمدوننا
بما يلزمنا لقيام الاود قادرين على ارسال امداداتهم الينا
ونحن في ما كنا عليهِ فامسينا في شدة تحاكي الشدة التي
امسى فيها بنو اسرائيل وهم في عبودية المصريين ومع اننا
كنا في ضيق شديد لم نتغاضَ عن الاهتمام بستر رزم
الذي كان مسجونًا في قلعة تجدلا ومحاطًا بالاعداء وكثيرًا
ماكنا نرسل اليهِ ما كان يتيسر لنا تحصيلهُ من الطعام
لانفسنا وكنا نغطيهِ نقودًا مما كنا نستدينهُ وقد تكبدت
مشقات كثيرة للحصول على ما يقوم باودهِ واودي فكنت
اسعى للحصول على ذلك بعد ان اكون قد صرفت النهار
بطولهِ في عمل الاعمال الشاقة وكثيرًا ما التمسنا من
الملك ان يطلقهُ من السجن ولكن بدون نتيجة ودامت
حالنا على هذا المنوال الى ان اتى الملك تحرير من
انكلترا وما ياتي هو ملخصهُ

قد بلغنا ان حضرتكم امرتم بسجن مستر رزم وغيرهِ

من الافرنج في قلعة مجدلا وهذا يخل بالقوانين السياسية
وبمآل المعاهدة التي عقدت بواسطة مستر فلاد وقد
احزنا هذا الامر جدًّا وبيَّن ان حضرتكم تستخفون بالعهود
وبناءً على ذلك وبما اننا قد ارسلنا مستر فلاد ومعهُ كثيرون
من الفعلة والات كثيرة للقيام بحق مرغوباتكم وهو الان
في مصوع وقد امرناهُ ان يبقى هناك وان لا ياتي الحبشة
الا بعد ان تامروا بارسال الاسرى الى مصوع . ولما
قرا الملك هذا التحرير اغتاظ جدًّا وقال انني لا اقدر
ان اطلق سبيل الاسرى ما لم تاتِ اليَّ الفعلة والالات
واذا رغب الانكليز في فتح حرب عليَّ اقتل جميع الافرنج
المقيمين في الحبشة وبناءً على ذلك لا اطلق احدًا منهم
وكانت لوائح الغضب ونجبة الانتقام تلوح على وجههِ
ولولا عناية الله سبحانهُ وتعالى لبتنا جميعًا فريسة سيف
ظلمهِ واخذ يتوعدنا ويتهددنا بالسجن على انهُ حدث
ما اشغل افكارهُ في قصبة بلادهِ فذهب اليها وقلبهُ

ممتلئ غيظًا وحنقًا ولكن لم يصل الى القصبة حتى
تمكن اكثر المذنبين من الهرب ولولا الفرار لانزل بهم
ويلاً وهوانًا ولما اتى المدينة هجم عليها ونهب اموال جميع
الاهلين بدون استثناء والقى القبض على الذين وجدهم
في المدينة ونهب الاديرة والكنائس والكتب الدينية
والاجراس والصلبان وكل الانية الفضية ونهب ايقونة
عظيمة اسمها التابوت وهي معتبرة جدًا عند الحبشة وهي
من خشب مربع طولها نحو ١٤ قيراطا وعرضها عشرة
وسمكها قيراط واحد مرسوم عليها صليب منقش بنقوش
ظريفة ويزعم الحبشة ان هذا هو من تابوت العهد
القديم الذي كان للاسرائيليين مع ان شكلها هو غير
شكل ذلك التابوت فيجثون راكعين امامها عندما
يحملها الكهنة على ايديهم وهي مغطاة بمنسوج من الحرير
وبعد ان نهب كل ما في المدينة امر بحرقها بالنار وبعد
ذلك اخذ الذين اسرهم من الكهنة والرهبان وغيرهم

الى غفت وبعد ان رجع الى غفت حدث قلق وشغب
في المعسكر لان العساكر كانت قد تعبت وملّت من جرى
المشقات والاتعاب التي تكبدوها في تلك السنة بدون ان
يقبضوا اجرة فطلبوا الى الملك ان يسمح لهم بالرجوع الى
اوطانهم ولما كانوا يخافون الوقوع تحت قسي غضبهِ استغنم
اكثرهم الفرص المناسبة وفروا هاربين وكان عدد الذين
طلبوا الفرار مئات الوف وفي هذه الايام اخذيتملقنا تارة
ويتهددنا اخرى وكان قلبهُ مشتعلاً بنار الحقد وفي
هذه الايام طرأ ويل جديد على ستيكر وبرنديس ومكرر
واسلر فانهم اتفقوا على الفرار ليخلصوا من الظلم وكان
ذلك في كانون الثاني سنة ١٨٦٧ ولسوء حظهم اخبروا
بردل بما كانوا عازمين عليهِ وهذا هو الرجل الخائن
الذي اوقع سترن قبلهم في شرك الويل وكان اروغ
من ثعلب وامكر من ابن آوى واحيل من ضب واخبث
من الارقط فكان يتظاهر بانهُ صديقهم اما باطنهُ فكان مملوءاً

شرًا وحماقة ففعل بهم كما فعل بسترن لانهُ لما وقف على افكارهم اظهر لهم انهُ قد استحسنها وحثهم على اتمامها غير انهُ ذهب الى الملك واخبرهُ بجميع ما وقف عليهِ من عزمهم بدون ان تحملهُ الشفقة والحنو على كتم الامر ولما سمع الملك بذلك ارسل جنودًا لياتوا بهم اليهِ بدون ابطاء ولما وقفوا امامهُ سالهم عن صحة ما بلغهُ فاقروا لهُ بالحقيقة فامر بوضعهم في القيود وسجنهم في دبراطابور وهذا حملهُ على ان لا يركن الينا فامسينا ننتظر اليوم الذي فيهِ يامر بسجننا مع ارفاقنا وبعد ذلك امرنا ان نصنع لهُ خمسة فيود وبلغنا من بعض حشمهِ انهُ كان مصممًا على ان يقيدنا بها فصنعناها واخذناها اليهِ وقلوبنا تخفق من مجرد النظر اليها . وفي ١٥ نيسان الساعة السابعة من النهار سنة ١٨٦٧ دعانا اليهِ ولما وقفنا امامهُ قال لقد بلغني انكم من رعايا الانكليز ولذلك قد امسيتم اسرى ثم اخذ يتهددنا والقى اعوانهُ علينا القبض بغتة فارتعدت

فرائصنا واخذ الخوف منا كل ماخذ لاننا عرفنا انهُ لا
خلاص لنا من يديهِ فسلمنا الامر الى الله واتكلنا على
عنايتهِ . اما نساؤنا واولادنا فامسوا تحت الحفظ
وكانت الجنود تجرنا وراءها على الارض كما يجر الجزار
الغنم التي يقودها الى الذبح ولما رات امراتي ما حل بي
بكت بكاءً شديدًا وتاوهت وتحسرت وارادت ان
تذهب معنا فدفعها بعض الجنود الى الوراء وارجعوها
بعنف مع انها ابنة وزير كان مكرمًا عند الملك وهو
مستر بلّ الانكليزي وزير الحبشة الاول وكنت قد
بلغت درجة عالية من الكرامة عند الملك بواسطة اقتراني
بابنة وزيرهِ الاول ومع ذلك قد وصلت الى ما وصلت
اليهِ من الذل . فسرنا الى دبر اطابور اما عيالنا فبقوا في
غفت ينتظرون الفرج . والظاهر ان العناية الالهية كانت
تغير افكار ذلك الملك لانهُ بعد ان وصلنا الى دبر اطابور
بيوم واحد امر برجوعنا معهُ الى غفت وكان قد ذهب

معنا الى دبر اطابور وكان القصد من رجوعه الى غفت
حضور خميس الجسد فرجعنا الى غفت وكان قد طلب
الينا قبل الرحيل من دبر اطابور ان نسلمهُ ارزاقنا
وكل الاوراق التي كانت عندنا لانه كان يظن ان
كل ما كتبناهُ كان ضدهُ . فارسلنا الى عيالنا قبل
رجوعنا رسولاً وطلبنا اليهم ان ياتونا عندما نصل الى
غفت بكل ما نملك وان يحرقوا كل الاوراق المكتوبة
لئلا يرى حبرًا على ورق ويظن ان الكتابة هي ضدهُ
واحراق تلك الاوراق خسرنا افادات كثيرة كانت مكتوبة
عليها ولما اتينا غفت اعطيناهُ كل ما كان لنا وبينما
نحن واقفون امامهُ اتاهُ قومهُ برجل من رجالنا وهو
المعلم سهيلو وكان شابًّا لطيفًا اديبًا مهذبًا وكان قد
انضم الينا واتحد معنا فشكوهُ الى الملك قائلين قد راينا
هذا الرجل قاصدًا الفرار من غفت فالقينا القبض عليهِ
وفتشناهُ فوجدنا معهُ . ٥ ريالاً وهي تخص احد الافرنج

الغير الماسورين وهو يريد ان يهرب بالمال فلما سمع
الملك هذه الشكوى امر بقطع يدي ذلك الشاب ورجليهِ
فقطعوها فوقع هذا الرجل المنكود الحظ على الارض
غائصاً في دمائهِ ومتوجعاً باوجاع لا يقدر القلم ان يصفها
وبعد ان احتمل ما احتمل من الالم يومين مات. وبعد
ان اعطينا كل ما لنا للملك امسينا في فقر شديد واحتياج
الى ما يقوم بسد الاود واخذ الملك يلاعبنا كما يلاعب
السنور الفارة قبل ان يفترسها فاننا كنا ننتظر ساعة
فساعة حلول الاجل وفي الاسبوع المعروف عند المسيحيين
باسبوع الالام حدثت زلزلة يوم الجمعة والسبت منها
وهدمت جانباً من غفت وبعد ذلك صالحنا الملك وردَّ
لنا ما كان قد اخذهُ منا وفي نفس اليوم الذي رد
فيهِ هذه الاموال ذهب ليلاقي مسترفلاد اذ انهُ بعد
ان وردت اليهِ الاوامر لجهة اقامتهِ في مصوع بعثنا اليهِ
تحاريرو طلبنا اليهِ ان ياتينا ولم يكن الملك قاصداً ملاقاتهُ

فقط ولكنهُ كان مصمماً على مقاتلة اقوام من تلك
البلاد ولما وصل فلاد الى الملك قابلهُ مقابلة فاترة
وارسلهُ الينا ولما رجع من القتال اتى بنحو ثمانية الاف
من البقر من دمبيا وحلكه وبعد رجوعهِ بزمان قصير
امر بذبح تلك المواشي حول الخيام فذبحوها جميعها فغطت
جثثها الارض مسافة ربع ساعة وكان منظرها قبيحاً
تنفر منهُ الطبيعة الانسانية ولا ريب ان مصدر هذا
الفعل الغير النافع هو الجهل والقساوة لانهُ ما الفائدة
من هذا الاسراف الذي لم يكن لهُ نتيجة غير الرائحة
الكريهة مع انهُ كان يقدر ان يطعم من هذه اللحوم الوفاً
من الاهلين والعساكر او ان يستخدم هذه الابقار لحراثة
الارض والذي حملهُ على فعل ما فعلهُ هو غيظهُ وغضبهُ
على القوم الذين قاتلهم فذبح ابقارهم لينكيهم وربما كان
قد سمع خبر قدوم العساكر الانكليزية فذهب الاماكن
التي ظن انهم يمرون بها ليقطع عنهم وسائط الحصول

على الزاد ليمنعهم عن التقدم

الفصل السادس

تابع اخبار الاسرى وغير ذلك

اننا اتينا دبرا طابور في شهر نيسان سنة ١٨٦٦ واقمنا فيها الى تشرين الاول سنة ١٨٦٧ ولو حاولنا وصف الرزايا والمصائب التي المَّت بنا لاحزنّا جدًّا كل الذين يقرأون اخبارنا لانهُ لو رآنا قلب قاسٍ كالجلمود لرقَّ لنا فاننا امسينا في اقذر مكان واسوإ حال وكنا في احتياج الى ما يقوم بسد اودنا وكانت افكارنا في انشغال دايم لان الملك كان ينظر الينا بعين الغضب ويقابلنا بوجه عابس وهو معلوم ان غضب ملك الحبش هو عبارة عن موت او قطع ايدٍ وارجل او حرق في النار داخل بيت من خشب او ربط الجسم بخيطان مشدودة حتى يخرج الدم من الاطراف واشتدت قساوة قلبهِ في الايام الاخيرة حتى ان اكثر جنوده فروا هاربين وطالبين

انجاة من جنودهِ مع انهُ كان في اول حكمهِ من اعدل
القوم واكثرهم محبة لاهل بلادهِ واخبرهُ بعض قومهِ ان
ثلثماية رجل من جنودهِ قاصدون الفرار فامر باحضارهم
اليهِ فاحضروهم وقيدوهم وربطو بعضهم ببعض اخشاب
ووضعوهم في السجن بدون ان يطعموهم فماتوا جوعاً
بعضهم بعد وثقهم وسجنهم باثني عشر يوماً وبعضهم باربعة
عشر يوماً وبقي بعضهم احياء فامر ان يصير قتلهم باطلاق
الرصاص فقتلهم اعوانهُ وقال لقوم من اعوانهِ ان
خمسماية جندي اخرين مصممون على الفرار فامر بالقاء
القبض عليهم واخراجهم الى سهل وقتلهم بالسيف وطعن
الرماح فامسى الحبشة في خطر دايم لان وشاية رجل او اكثر
من المبغضين كانت كافية لاهلاك مئات منهم فكانوا
يطلبون الفرار افواجاً افواجاً بدون ان يبالوا بالاخطار
التي كانت تحيط بهم وكان يامر بقتل نساء واولاد
الذين كانوا يهربون وكان يقتلهم بالتعذيب الشديد

وكثيراً ما نزعوا ثياب النساء وربطوا اجسادهن بالخيوط
وشدوا ربطها حتى خرج الدم من اطرافهن وبعد ذلك
كانوا يعلقونهن على خشبات ويقيمونها في جانب
الطريق وكن يبقين على تلك الحال حتى يمتن من الالم
والجوع بعد مقاساة ما لا يقدر القلم ان يصفهُ وكانت
تطول حيوة بعضهن فكانوا ينزلونهن عن هذه الخشبات
ويقتاونهن ويطرحون جثثهن ماكلاً للضباع وكان الملك
يقاصُّ بالموت من يشكونهُ اليهِ ولو شكاية صغيرة وقتل
كثيرين ظلماً وعدواناً بالشهادات الزورية ولولا عناية
الله لقتلنا جميعاً

فما من يدٍ الا يدُ الله فوقها ولا ظالمٌ الا ويبلى بظالم

فكثرت الجثث الغير المدفونة وافسدت الرائحة الخبيثة
الهواء فكثرت الامراض وكثر الموت والجوع وتدد
جيش الملك في كل الجهات اما نحن فكنا مسلمين
امرنا الى الله ومنتظرين ساعة القضاء وحلول الاجل

ولا بد من ان يكون الرحمان قد سمع صلواتنا وحمانا
من ظلم ذلك الظالم فانهُ قد قال تدعوني في الضيق
فانقذك وبينما نحن على ما كنا عليهِ من الضيق والتعب
امرنا ان نصب لهُ مدفعاً يدفع كرة وزنها ١٥٦ رطلاً
وكان هذا العمل صعباً علينا جداً ومع ذلك بادرنا
الى اجابة امرهِ خوفاً من ان يعاقبنا كما عاقب غيرنا ممن
خالفوهُ وبالاتكال على مساعدة الله اتينا بالمرغوب واريناهُ
اياهُ فاخذ يلاطفنا بالكلام لانهُ راى اننا مكنَّاهُ من
نوال غايتهِ ونفعنا ذلك العمل كل المنفعة لانهُ حمل
الملك على ان يامر برفع قيودنا وتبين لنا ان الملك كان
يرغب جداً في تقييدنا وسجننا مع رفقائنا على ان المدفع
حملهُ على حل القيود واطلاق حريتنا لانهُ راى اننا لا
نقدر ان نتم لهُ عملاً ونحن في السجن وبعد ذلك اتانا
وهو مستشيط غضباً وقال انني كنت قاصداً ان اقتل
اخويكم ستيكروبرنديس ولكنني عفوت عنهما اكراماً

لخاطركم لانكم تعملون لي هذه الاعمال العظيمة فشكرنا
الله لانهُ انقذهما من نيران غضبهِ وبعد ذلك بمدة امر
باخراج جميع المسجونين من السجن ثم امر بنزع ثيابهم
وربطهم بالخيوط فخرج الدم من اطراف اجسادهم فكانوا
يصرخون متوجعين لان الامهم كانت شديدة واذا
سال احد عن سبب ذلك كان الجنود يقولون ان
الملك يعصرهم ليخرج منهم مالاً ولم يكن عند اولئك
المنكودي الحظ مال ليتمكنوا من فداء انفسهم بهِ
فكانوا يرسلون الينا اولادهم واصحابهم طالبين الينا
ان نقرضهم اموالاً ولكن لم يكن عندنا شيءٌ منها على اننا
كنا حاصلين على بعض الراحة فكنا نسعفهم بما كان
يتيسر وكثيرون من الذين راوهم على ما كانوا عليهِ من
العذاب شفقوا عليهم ودفعوا عنهم ما كانوا قادرين على
دفعهِ وهكذا بواسطة احسانات المحسنين جمع اولئك
المنكود الحظ ما طلبهُ الملك منهم ونجوا من ظلمهِ

الفصل السابع

في احكام ونظامات وعادات الحبش

ان الملك في الحبشة هو رئيس للقضاة علاوة على رياسة الحكومة وهذه الرياسة تاتيهِ باتعاب كثيرة ومدينة غندار هي قصبة البلاد وفيها عرش سلطاني وهو العرش الاثيوبي الذي كان يجلس عليهِ الملك ثيودوروس وكان ياتي ذلك المكان جماهير كثيرة من محلات مختلفة ليعرضوا دعاويهم للملك لانهُ يحق لكل مظلوم ان يشكو امرهُ الى الملك وكان المدَّعون يقدمون دعاويهم كل ليلة الساعة التاسعة افرنجية وعند ما يدنو من الملك بحيث لايبقى بين المدعي وبين الملك غير اربعاية ذراع كان المدعي يصرخ قائلاً جن هوى جن هوى سبع مرات متتابعة ومعنى ذلك يا ايها الملك العظيم اسمع لنا وكان الشعب ممنوعاً عن ان يتقدم الى الملك اكثر من الحد

الذي يبعد عن عرشهِ اربعماية ذراع فكان يتوسط بين
الملك وبين المدعين رجل يسمونهُ افانكوس اي كليم
الملك وكان المدَّعون احيانًا يعرضون دعاويهم حتى نصف
الليل اما الملك فكان ينام قليلاً ثم يستفيق ويقول
للكليم الذي كان يبقى مستيقظًا اسمع للمدعين فكان
يقول ثم الكليم تكلموا وكانوا يتكلمون بحسب نوبتهم
وكان الكليم يقدم تقاريرهم الى الملك وكنت اتعجب
جدًا من قوة ذاكرة افانكوس لانهُ كان يسمع احيانًا خمسة
اوستة تقارير ثم يعرضها للملك الواحدة وراء الاخرى بدون
ان ينسى شيئًا او يغير شيئًا واعجب من ذلك ذكاء الملك
الذي كان يقضي حالاً بالعدل بحسب قوانين مملكتهِ
وكان يقول للكليم قل للاول كذا وللثاني كذا وعلَّم جرًّا
وكان الكليم يبلِّغ حالاً المدعي كلام الملك وكان احيانًا
ينسى بعض ما قالهُ للملك فكان يقول لهُ الملك لماذا
غلطت يا حمار فانني لم اقل ما قلت انت للمدعي وكان يغير

هذا الكليم احياناً كلام الملك بحسب صوالح بعض اصدقائهِ
وكان يعرف الملك احياناً بذلك فكان يقول لهُ لماذا
تغير ياشيطان ثم يقول للحرس اجلدوهُ خمسين جلدة
ليتعلم الضبط في تبليغ الكلام وكان عندما يسمع الملك
تقرير المدعي يسمع شهادة الشهود وكان التقاضي اليهِ
من الساعة التاسعة الى شروق الشمس وكان يتمكن
من فصل مئات من الدعاوي وكان يجري القصاصات
عند طلوع الشمس فكان يضرب بعض المذنبين بالسياط
ويقيد بعضهم بالقيود ويقاص البعض بدفع الدراهم
وكان يامر بربط البعض بارجلهم وايديهم ثم يرفعهم عن
الارض اربعة رجال بالحبال التي ربطوهم بها ويجلدونهم
خمسين جلدة او اكثر او اقل اما السارقون والكاذبون
والشاتمون والمجدفون على الملك فكان يامر بقطع
ايديهم والسنتهم وقال لنا الملك ربما كنتم تظنون ان
احكامي هي قاسية وصارمة الا تعلمون ان الله يقيم على

الامم المتمردة والمتوحشة ملوكاً قساة فامتي هي امة متوحشة ومتمردة

هذا وكان اذا حدث امر صعب او دعوى مشكلة يعين لها الملك يوماً مخصوصاً لينظر فيها بعد ان ياتي بالشهود واذا كان الملك غائباً كانوا يتبعونهُ وكثيراً ما كانوا يخرجون عرشهُ ويقيمونهُ في سهل واسع بحيث لا يقدر ان يرى جميع الحاضرين فيجلس الملك على ذلك العرش ويستظل بمظلة كبيرة جداً مزينة بالذهب والفضة وغيرهما ويقف العسكر والحرس حولهُ متسلحين ويضعون كرسياً امام العرش يجلس عليهِ البطريرك ابونا سلامه وهذا البطريرك يذهب مع الملك اينما ذهب ويجلس على كل جانب من جانبي العرش ١٢ شيخاً وبين هولاء الاربعة والعشرين شيخاً يجلس كاهن امامهُ كتاب ناموس الحبشة واسم هذا الكتاب فيتانا نكست اي كتاب الناموس وهو من كتب الاسكندرية وفيهِ ناموس الكنيسة في القوانين

السياسية واحكامهُ قاسية جدًّا منها قطع لسان من يكذب
على الملك وقطع يد السارق واذا سرق مرة ثانية يقطعون
يدهُ الاخرى وقطع يدي ورجلي من يشتم الملك وقطع
يدي ورجلي من يعصيهِ وبعد ذلك شنقهُ وقتل من
يطعم عدوًّا من اعداء الملك او يسقيهِ واما النواميس
الكنائسية المقررة في هذا الكتاب فاكثرها من نواميس
الاسرائيليين. وبعد ان يجلس الملك والبطريرك والشيوخ
والكاهن يتقدم المدَّعي والمدَّعَى عليهِ والشهود وتقام
الدعوى وفي ظروف كهذه يكلم الملك نفسهُ الاخصام
ويقضي عليهم اولهم وكثيرًا ما يطلب الى الشيوخ ان يقضوا
في الدعاوي ويقول لهم اقضوا انتم بما تقضونهُ فيتقدم
شيخ من الشيوخ الجالسين عن يمينهِ ويقدم رايهُ ثم يرجع
ويجلس في مكانهِ فيتقدم شيخ اخر من الجالسين على
اليسار ويبدي رايهُ وهلمَّ جرًّا الى النهاية وبعد ذلك
يقول الملك افتحوا كتاب الناموس واقرأوا علينا نصهُ

في هذا الشان فيقرا الكاهن من الكتاب المذكور
فاذا كان الحكم بالموت فللملك السلطان ان يعفو ويجلس
عن يسار الملك كاتب يكتب كلما يقولوه الشيوخ وعند
النهاية يتلو هذا الكاتب ماقالهُ فيختارون الحكم الموافق
ويحق للملك ان ينعم على المدعي هذا ان اراد فكان الملك
ثيودوروس حاذقًا جدًا وعارفًا الناموس حق المعرفة
ولذلك كانت الامة تحبهُ

قد ذكرت فيما مضى انني كثيرًا ما سافرت مع
الملك وكان هذا يمكنني من الوقوف على عادات الحبشة
واحكامهم وكان الملك ياذن لي ان اسير وراءهُ لئلا
يزعجني الحبش وكان المدعون يتبعونهُ من مكان الى
مكان ويصرخون قايلين جن هوي جن هوي فكان
يسلم عليهم فيحنون روسهم الى الارض ويقبلونها ثم يعرضون
شكواهم وكثيرًا ما اجرى قصاص المذنبين وهو مسافر
بالجلد او بالقتل او بالشنق وفي ذات يوم وجد رجل

عشرين ريالاً فاتى بها الى الملك وقال لهُ يا ايها الملك
المعظم قد وجدت عشرين ريالاً ولا اعلم لمن هي فخذها
لانك انت احسن الناس فاجاب الملك قائلاً يا ابني
الحبيب انك امين لانك لم تحفظ لنفسك ما وجدت
ولذلك قد وهبتك عشرين ريالاً غيرها فان وجدت
صاحب المال المفقود تردعليهِ والا فيبقى لك معاوهبتك
فاعطاهُ مدير خزينة الملك عشرين ريالاً فرجع ذلك
الرجل فرحاً واخبر قومهُ بما جرى فحسدوهُ فقال
احدهم انني قد صرفت كل حياتي بدون ان اتمكن
من جمع عشرين ريالاً وقال الاخر في نفسهِ عندي
خمسون ريالاً فساذهب بها الى الملك واقول لهُ انني
وجدتها فيعطيني خمسين ريالاً غيرها فيصح عندي
خمسون ريالاً اخرى ويكون حظي اكثر من حظ رفيقي ومع
ان هذا المبلغ هو زهيد في البلدان المتمدنة يعتبرهُ الحبش
مبلغاً وافراً ومن نال قدرهُ يحسب عندهم غنياً فاخذ

هذا الرجل ريالاتهِ في نفس اليوم الذي جرى لرفيقهِ
ما جرى واتى الملك وقال لهُ يا ايها الملك المعظم قد وجدت
خمسين ريالاً ولا اعرف صاحبهم فقلت في نفسي انك
تستحقها اكثر من غيرك فعرف الملك نيتهُ وقال لهُ لقد
احسنت فادفعها لوكيل الخزينة فالتزم ذلك الخداع
ان يخسرها كلها فلاحت على وجههِ لوائح الكدر الشديد
فرجع خجلاً واخذ في البكاء فقالت لهُ امراتهُ لماذا تبكي
فكتم عنها الامر فالحت عليهِ فقص عليها الخبر وبعد
مدة قصيرة جدًّا عرف الجيران بما كان. وهذا يبين ان
الملك كان اعرف بعادات قومهِ وخبثهم اكثر من
الاجانب الذين كانوا ياتون بلادهُ

واذا ذهب الملك الى مكان بعيد كثيرًا عن مركز
الحكومة كان ينوب عنهُ في القضاء الوزراء والامراء على
انهُ كانوا يتمنعون عن استماع الدعاوي المهمة ويوخرونها
الى ما بعد رجوع الملك ويتقاضى اهل القرى الى شيوخهم

واذا تمنع احد هولاء الشيوخ عن استماع الدعاوي يقيم عليهِ المدعي الحجة ويشكوهُ الى الوزراء او الامراء فيعاقبونهُ بما تقتضيهِ الحال

في الزواج

ان الزواج عند الحبشة على ثلاثة انواع النوع الاول ان يكون عقد الزواج بحسب ناموس الكنيسة والثاني بحسب قوانين البلاد والثالث بحسب العادة الجارية عندهم وهي ان يكون الزواج بلا ناموس وبلا قانون والذين يتزوجون بحسب النوع الثالث هم ادنى القوم واجهلهم وعاداتهم تحاكي في هذا الامر عادات البهايم اما الزواج الذي يكون بحسب قوانين البلاد فيتم بكتابة اتفاقية وبشهادة شهود فيحلف الرجل قائلاً وحياة الملك قد تزوجت بفلانة وبعد ذلك تحلف الفتاة بانها قد تزوجت بفلان ولا يقدر ان يفصلها غير الملك . اما اكابر الحبشة فيعقدون الزواج بحسب ناموس

الكنيسة ولا يقدر احد ان يفصل المتزوجين ويتناول
الرجل والفتاة العشاء الرباني في الكنيسة عند قيام
العرس ثم يكتبون اتفاقاً قليلون هم الذين يعقدون زواجهم
بحسب هذا الناموس لان الرجل لا يقدر ان ينفصل
عن المرة لاية علة كانت فيقول بعض الاهالي اننا لا
نعرف اطباع البنات ولذلك الاوفق ان نقترن بهن
بدون عهود ناموسية وبعد ان نختبرهن نعقد الزواج
بحسب ناموس الكنيسة وكثيرون اقاموا مع خطيباتهم
ثلاث سنوات بدون ان يعقدوا العهود الناموسية.
ومن عادات الاكابر والاغنياء ان يطعموا الفتاة
قبل الزواج بشهرين عسلاً مطبوخاً باللبن وذلك
لتسمن وفي هذه المدة يحفرون حفرة في الارض ويحرقون
فيها اخشاباً ذات رائحة طيبة فتترق هذه الاخشاب
شيئاً فشيئاً ويصعد منها دخان كثير فياتون بالفتاة ويضعونها
في هذه الحفرة مدة ساعتين في كل يوم بعد ان يغطوها

بمنسوجات فيدخل الدخان مسامّ جلدها فتعرق كثيرًا
وتبدل جلدها الاسمر بجلد ابيض جميل وناعم كالمخمل
او كالدمقس ويطعمون الرجل طعامًا مطبوخًا وهو دجاج
مسلوق ومسحوق بعظمهِ وبعد ذلك يخلطونهُ بالسمن وبعد
العرس ياكل الرجل والمراة من هذا الدجاج المسحوق
مدة طويلة ومن ناموسهم ان المتزوج جديدًا لا يتعاطى
الاعمال ولا يحارب مدة سنة · ومن العادات ايضًا
ان الرجل واهلهُ واقاربهُ جميعًا وكل من يلوذ بهِ ياتون
بيت العروس ويذهبون بها الى بيت الرجل ويسير
الرجل في الطريق امام الجميع وتسير الرجال وراءهُ
ويغنون ويضربون الدفوف ويطلقون البنادق اما
العروس فتسير مع اقاربها وراء الرجال وتسير العذارى
وراءها راقصات ومغنيات ولاعبات بالعاب مختلفة
وعندما يصل القوم الى بيت الرجل ينزل هو والعروس
عن بغليهما فيدخلون البيت ويقيمون الالعاب ويغنون

الاغاني وبعد ذلك يصير تقديم الماكولات الكثيرة الانواع
ويأكل الجميع منها وكثيرًا ما يذبح الاكابر والاغنياء
عشرين بقرة فيأكل المدعوون لحمها نيًا بعد ان يمزجوهُ
بفلفل حارٍّ ولو اكل منهُ افرنجي لذرفت دموعهُ واحمرت
عيناهُ من شدة حرارة الفلفل وبعد الوليمة ياخذون
في الغناء واللعب والرقص والطرب والصوت الحسن
عندهم هو الصوت المرتفع ويشربون خمر العسل وهم
يصنعونهُ بمزج مقدار من العسل بستة اضعافهِ من الماء
ثم يضعون فيهِ اوراق شجر مرة ويضعون ذلك جميعهُ في
الشمس ثمانية ايام فتصير حلاوة العسل مرة كالصاب
ويصرفون الليل بطولهِ على تلك الحال ولا يسوغ
للرجل ان يتزوج باكثر من امرأة واحدة غير ان الكهنة
يسمحون في بعض الاحوال للرجل ان يحب امراة علاوة
على امراتهِ وهذا هو من اكبر اسباب الشرور في بلاد
الحبش لانهُ ياتي بخصام ونزاع كثير ولا يجوز للذي

يتزوج بحسب ناموس الكنيسة ان يتخذ قرينة لامرأته
ولا يسوغ لنساء الاغنياء والاكابر ان يخرجن خارج
خدورهن ويجعلن على احتياجاتهن بواسطة خصيان
يقمن بخدمتهنّ اما غيرهنّ من النساء فتكون معاملتهنّ
بحسب ارادة ازواجهنّ فمنهم من يعاملهنّ بالقساوة
والظلم ومنهم من يعاملهنّ بالرفق والمحبة والاعتبار
ولا يسمح الرجال للنساء ان يتعلمنَ فروض الدين
ولا القراءة على اننا بعد ان دخلنا البلاد وفتحنا المدارس
للصبيان والبنات شرع البعض من النساء في تعليم
القراءة ومما حدث ان امرأتي زارت نساء من نساء
الاعيان فوجدت انهنّ لا يعرفنَ القراءة فسالتهنّ عن
سبب ذلك فاجبنها انهُ لا يمكننا ان نتعلم القراءة وكانت
امرأتي قد اخذت معها بنتاً تعرف ان تقرا فطلبت
اليها ان تقرا فقرأت على مسامعهنّ فتعجبنَ وقلن
اذا كانت هذه الابنة قد تمكنت من تعليم القراءة فنحن

نقدر ان نتعلمها ايضاً ومن ثم شرعن في المجيء الى مدرسة امرأتي ليتعلمن القراءة

في البيوت

ان اكثر بيوت الحبش مبنية من خشب وهي ذات حيطان مستديرة اما السقف فهو من قصب مغطى بقش سميك وهي موضوعة في كل بيت على سبعة اعمدة ومطينة من داخل بتراب وزبل ولا يفتحون نوافذ لدخول النور فلا يدخل البيت الا من الباب والبيت جميعهُ محل واحد يسكنهُ كل العائلة وتوابعها من البغال والخيل والبقر والغنم والسنانير والجراذين ولا يقدرون ان يبقوا حيواناتهم خارج البيوت خوفاً من ان تفترسها الضباع واتفق انني كنت مسافراً من محل اقامتي الى مكان بعيد فوصلت ليلاً الى قرية من قرى الفلاحين والتزمت ان ابيت فيها فانزلني احد الاهلين في بيتهِ وقدم لي ما كلاً على خوان كان معي وقال لي كل

حق الاكل من هذا الطعام لان الظاهر انك ضعيف
الجسم اذ انك قد اتيت من اوروبا التي لا يوجد فيها
طعام كهذا الطعام الجيد وكان اهل المنزل يضعون
الاكل في فمي بايديهم وكان الطعام من انواع كثيرة
فاكلت حتى شبعت وفرشوا لي فراشًا على الخوان الذي
وضعوا الماكل عليهِ ثم وضعوها على حشيش اخضر
وكنت تعبا جدًّا فنمت حالًا على ان عجيج البقر
وصياح الديوك وغيرها اقلقني فرايت حولي اربعة من
الماعز كانت منهمكة في سحب الخوان من تحتي بعد ان كانت
قد اكلت الحشيش الذي كنت نايمًا عليهِ فنهضت لافتش
على عصا لاطردها بها عني فلم اجدها الاَّ بعد بحث طويل
فنمت ثانيةً فرجعت اليَّ فطردتها وعند ذلك شعرت
بان جيشًا عرمرمًا من البق قد هاجمني واخذ ينهش
لحمي بلا شفقة وكنت اسمع عجيج البقر وصهيل الخيل
ونقيق الدجاج وصياح الديوك وهرير الكلاب ومواء

السنانير حتى انني كنت اذا تكلمت لا اسمع كلامي من صوت الضجيج فلما استيقظ اهل المنزل قالوا لي نشكر الله الذي اراك يوماً سعيداً فانظر ما اجمل بيوتنا وظن ان بيوت اوروبا لا تحاكي جمالها على ان كثيراً من بيوت الحبش وعلى الخصوص في المدن هي مبنية من حجر وفيها مجالس ومفروشات جميلة وبسط عجمية نظيفة اما ملابس الاعيان فهي بيضاء نقية وكلهم يكرمون الضيف وقصر الملك هو متقن جداً وكبير وفيه مفروشات حريرية مذهبة وقد بناه البرتوغاليون سنة ١٦٠٠ وحصل ملك الحبشة على ذلك بواسطة الاتحاد الذي جرى بينه وبين ملك البرتوغال فارسل اليه بنائين فبنوا هذا القصر العظيم وجسوراً فوق بعض الانهر

في الملابس

ان الرجال يلبسون السراويل البيضاء الضيقة الطويلة وهي كالبنطالون الطويل ورداء ابيض منقوشاً

اسفلهُ بنقش احمر عرضهُ نحو عشرة قراريط فبعد ان
يلبسوا هذا الرداء يطرحون طرفهُ على كتفهم ولا
يلبسون احذية ولا يغطون رؤوسهم وتلبس النساء
قمصانًا طويلة واردية كالرجال وتلبس نساء الاغنياء
والاكابر قمصانًا مطرزةً بطراز جميل جدًّا ويتزرون
بلوب ازرق واثواب العساكر هي كاثواب الاهلين اما
الوزراء والامراء والقواد فيلبسون قمصانًا حريرية
مطرزة باحسن طراز وكل الاهلين يحبون النظافة
ولكنهم يوسخون ابدانهم وثيابهم بالسمن الذي يضعونهُ
على رؤوسهم فانهم يخلطون السمن بريحان ناعم فيصير
طيبًا فيدهنون بهِ رؤوسهم ويخرجون الى خارج فتذيبهُ
حرارة الشمس فيسيل على وجوههم واجسامهم وثيابهم
النظيفة ويضع كل منهم كل يوم على راسهِ نحو ثلاث اواق
من هذا الطيب ويصنعون الملابس الاعتيادية في بلادهم
فتغزل النساء القطن ويحيكهُ الحياكون واكثرهم

من الاسرائيليين وكل حبشي خياط يخيط ثيابهُ لنفسهِ
اما الثياب الفاخرة فيجلبونها من اوروبا

في الحروب

دخلت الاسلحة النارية بلاد الحبش سنة ١٥٣٠ بمساعدة ملك البرتوغال وعندهم ثلثة انواع من البنادق فالنوع الاول بنادق الفتيل والثاني بنادق القداحة والثالث بنادق الكبسول اما دخول المدافع فكان سنة ١٨٤١ بواسطة القبطان هاريس الانكليزي وعندهم ايضاً سيوف حديدية وهي تلتوي عند الضرب وعندهم السوط والمجن المصنوع من جلد الجاموس كهذه الصورة

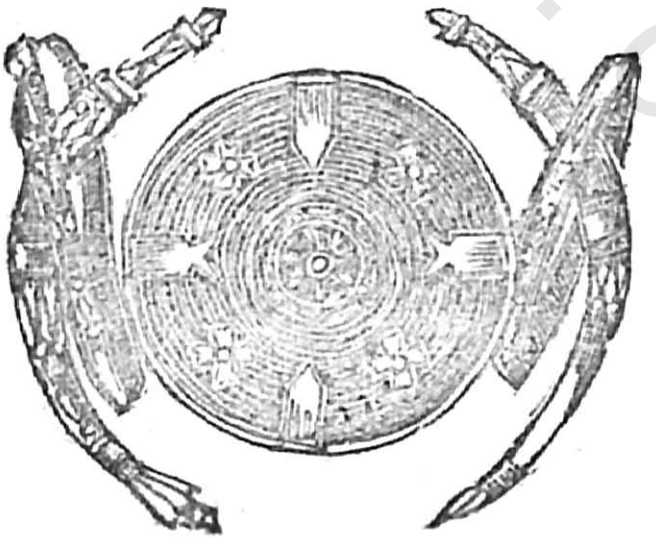

والحراب والرماح وكل جندي يصنع لنفسهِ مايلزم لهُ من البارود على ان بارودهم ليس كالبارود المصنوع في غير اماكن وعند مايرغب الملك في اقامة حرب ينادي المنادي طالبًا الى العساكر ان تستعد للحرب بعد ثلثة ايام فتتجهز الجيوش وتاخذ زادًا يكفيها مدة خمسة ايام وفي اليوم الثالث تستعد للسفر فيسير الملك امامهم بعيدًا عنهم نحو مائة ذارع لابسًا التاج ومايأتي هو صورة ذلك التاج

راكبا بغلاً او فرساً مسرجاً بالسرج الذهبي وكان يسير
وراءه الوزراء والامراء والقواد ووراءهم الجيوش ويكون
عددها احيانا مائة الف منهم ثلثون الفاً متقلدون البنادق
وخمسون الفاً متقلدون السيوف والخجان وغيرها وعشرون
الفاً من الفوارس فيسيرون في سبل مختلفة لان السبل
المطروقة في تلك البلاد هي قليلة جداً وعندما يسيرون
في سبل ضيقة ينفردون في المسير وعندما ياتون
المروج والسهول الواسعة يسيرون جماهير وعندما
يقتربون من الاعداء يضربون خيمة الملك الارجوانية
في مكان مناسب ويضربون امامها خيمة وزيره الاعظم
ووراءها خيمة وزيره الثاني وعن يمينها خيمة وزيره
الثالث وعن يسارها خيمة وزيره الرابع وحول خيمة
كل امير خيم الضباط وحولها جميعها العساكر وكيف
ما وجهوا باب خيمة الملك يوجهون ابواب كل الخيم
وبعد ذلك يخرجون من محلاتهم قاصدين القتال فيلبس

الملك لباس الحرب اي الدرع المصنوعة من جلد الفهود
المنقوش بنقوش ذهبية وفضية فيتقدم الجيشان حتى
لا يبقى بينهما الا مسافة اربعماية ذراع ويضرب كل منهما
طبلاً كبيراً ثم يصرخ الجيشان قائلين اكريواي يا الله
ساعدنا وذلك على ثلاث مرار وبعد ذلك تضرب كل
طبول الحرب اما المتقلدون البنادق فيقفون بجانب
الملك ويحيط الامراء والوزراء به فيقول لهم الملك تشجعوا
يا اولادي الاحباء لان جبهتي هي مجانكم فيطلق الفريقان
البنادق واما القتلى فيبقون في ميدان الحرب وبعد ذلك
يتقدم الفرسان ويقيمون القتال مدة قصيرة ثم يرجعون
وتبقى جثث القتلى في ميدان الحرب ثم تتقدم المشاة
المتقلدون السيوف والمجان والمزاريق والحراب وغيرها
ويقيمون القتال مدة ثم يرجعون وتبقى جثث القتلى في
مرسح الحرب واذا تقدم الملك الى ساحة القتال يلاقيه
ملك الاعداء وكثيراً ما قتل الملك اعداءهُ بغدارته

او رحمه وهكذا تدوم الحال الى ان يضعف احد الفريقين
ويقوى عليه الاخر وينهب الغالب المغلوب ويستاسر من
جنوده الذي يتمكن من اسرهم واذا انتصر ملك الحبشة يرجع
بجيشه ويقيم الافراح والاغاني والطرب ويضرب الطبول
ويدفع المغلوب مصاريف الحرب منها من الدراهم ومنها
من البهايم والحبوب والعسل اما المدافع التي وهبها الانكليز
لملك الحبشة سنة ١٨٤٠ وحكومة مصر سنة ١٨٥٠
بمساعي عبد الرحمان بك فهي ثقيلة جدًا ولا يعرفون
ان يستعملوها ولذلك كثيرًا ما تبقى في القلع المجاورة
للعسكر لان المسالك لا تصلح للسير فيها وكثيرًا ما تبقى
الجنود الحبشية ثلاثة ايام بلا اكل واذا حصلت على ما اكل
بعد ذلك يقدر ان ياكل كل منها ثلاثة ارطال من اللحم
مع الفليفلة الحمراء والخبز مرة واحدة ومن خصوصيات
رجال الحبش انهم لا يتعبون من المسير بل يركضون
ركضًا يحاكي ركض الغزال ويصعدون على الجبال الشاهقة

ويتسلقون على الشجر كالقرود الافريقية

في تجارة الحبشة

ان العلاقات التجارية المهتدة بين بلاد الحبشة واوروبا والهند ومصر وبلاد العرب هي قليلة جدًّا لان المسالك صعبة وطريق التجارة بينها وبين مصر تمر على كرتوم وتجارة بلاد العرب ابتدأت بواسطة البحر الاحمر بين بلاد الحبشة واليمن والحجاز وغيرها واكثر اصناف هذه التجارة هي من الحرير الملون وعلى الخصوص الازرق والمنسوجات الحريرية والارجوان والمخمل الازرق وخيطان القطن الصفراء والكحل والعطر والبخور والاقداح الزجاجية والتنبك الذي يستعملونه للعطوس والجلد الاحمر والاخضر وهلمَّ جرًّا ولو ذهب الدباغون من سورية وعلى الخصوص من بيروت ودمشق وزحلة الى بلاد الحبشة ومارسوا صنعة الدباغة يربحون في وقت قصير ارباحًا كثيرة لان جلود الماعز وغيرها هي

كثيرة جدًا واثمانها بخسة والحبش لا يحسنون صناعة الدباغة) اما محصولات البلاد فهي الحبوب من كل الانواع والعسل والشمع والقهوة والسمن والقطن والعاج والقرن والجلود والمسك والبهارات والذهب وغير ذلك

الفصل الثاني

الاستعداد لمحاربة الانكليز

ان اهم الاخبار التي يتضمنها هذا الفصل خبر استعداد ملك الحبشة لمحاربة الانكليز. فاننا بعد ان اقمنا زمانًا طويلاً في دبرا طابور امرنا الملك ان نذهب معهُ الى مجدلا وكان يحب الاقامة في هذا المكان لان كنوزهُ كانت فيهِ والذي حملهُ على سرعة الاتيان اليها هو ما بلغهُ لجهة قدوم العساكر الانكليزية الى بلاده فخرجنا من دبرا طابور في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٨٦٧ قاصدين مجدلا وهي تبعد عنها مسافة خمسة ايام

على اننا صرفنا في الطريق عشرة ايام لان الملك اخذ
معهُ مركبات ومدافع كثيرة منها ذلك المدفع الكبير
الذي احتملنا ما احتملنا من المشقات قبل ان تمكنا
من صبهِ فالتزمنا ان نسهل الطريق لنتمكن من جرها
واقام الملك مناظرين على تسهيلها واقام كل واحد منا
ناظرًا على مركبة من المركبات واطلق لهُ حريتهُ
ومما اخرناعن المسير جوع العساكر فانهم كادوا
يموتون جوعًا وضعفت عزايمهم حتى انهم لم يقدروا
ان يجروا الالات الحربية لان الاهلين كانوا لا يدفعون
الاموال الاميرية فامسى الملك نفسهُ في احتياج ولذلك
التزم ان يوقف مسير العساكر ليدبر ما يحفظهُ ويحفظ
عساكرهُ من الموت جوعًا ومن عادتهِ ان يغزو عند ما
يشعر بالاحتياج فامر بمهاجمة البلاد المجاورة الطريق
ولكن لما كان العصاة كثيرين لم يقدر ان يبعد عن
الطريق اكثر من مسافة نحو سبع ساعات فنهب

العساكر بيوت الفلاحين وحصدوا مزروعاتهم وكانوا
يدقون السنابل ويستخرجون منها الحبوب ويأكلون منها
ووجدوا حنطة في حفر عميقة وكان الفلاحون قد
دفنوها عندما سمعوا بقدوم العساكر خوفًا من ذهاب
بذارهم وفقد ما يحتاجون اليهِ لسد احتياجاتهم وهكذا
تمكنت العساكر من الحصول على القوت اذ انها نهبت
غلالاً كثيرة وكانت الجنود تخرج في الصباح من المعسكر
وترجع في المساء محملة المنهوبات على الحيوانات ولم
يكتفوا بنهب اولئك المنكودي الحظ ولكنهم كانوا
ياتون بكثيرين منهم الى الملك فيامر بوضعهم في بيوت
خشبية وحرقهم مع تلك البيوت ومن الذين القوا القبض
عليهم رجل سروجي وامرأتهُ وكانا بريين غيران اخر
رجل كان قد هرب الى مجدلا فعفا الملك عن امراة
ذلك السروجي واولادهِ وامر بحرقهِ فالتمست امرأتهُ
مرارًا كثيرًا العفو عنهُ ولكن بدون نتيجة فقدمت نفسها

للحرق معهُ فرقوهما وتركوا اولادهما يتامى بدون معين
ولا مجير وكنا نشاهد هذه الامور بحزن لا مزيد عليهِ
فلم نكن قادرين ان نساعدهم فما اقسى ذلك الملك
واشرهُ وبعد ان فرغ من الغزو اخذ في الاهتمام باسيريهِ
ستيكر وبراندیس فكان يكلمهما بالغضب والغيظ
ويعذبهما اشد العذاب وذلك لم يصل منهما دراهم فكانا
يحتملان عذابهُ الشديد وهما يتنفسان الصعداء ولم
يُرِحْهما بعض الراحة الا بعد ان توسلنا اليهِ مرارًا كثيرة
ان يخفف عذابهما واصابني داء الاسهال في الطريق
ولم يكن لي ما يخففهُ ولا ما يزيدهُ لاننا كنا مقيمين
في الخيم ولم يكن لي ما يوافقني من الاكل فزادت بليتي
واشتدت مصائبي وفعل هذا المرض بالعسكر فعلاً عجيبًا
فمات كثيرون فضعف جسمي وفارقتني قوتي حتى انني
كنت لا اقدر ان اقف وفي احدى الليالي اشتد المرض
عليَّ جدًّا وجلست امراتي بجانبي باكية وكنت انتظر

حلول الاجل ساعة فساعة وبينما انا على تلك الحال
اتاني رسل الملك وطلبوا اليَّ ان اذهب معهم اليهِ
فاجبتهم قائلاً انني لا اقدر ان اذهب الان الا تنظرون
سوء حالي وضعف جسمي فقالوا اذا كنت لا تقدر
ان تمشي الى الملك وتبين لي من منظرهم ان ذهابي معهم
ياتيني بمصائب جديدة مصدرها ذلك الملك العاتي
فذهبوا بي اليهِ مع انني كنت مشرفًا على الموت فلما رائي
الملك لم يحزن عليَّ ولكنهُ سلم عليَّ سلاما غريبًا وقال
لو كنت صديقي لما مرضت وانا اعرف انك لست
مريضًا ولكنك قد تمارضت لتتمكن من الفرار مع
اصحابك ولما سمعت ذلك منهُ تعجبت جدًّا وعلى الخصوص
لانهُ كان يحبني ويكرمني قبل هذه المقابلة وبعد ان تفكرت
برهة عرفت ان الوشاة قد وشوا بنا الى الملك وقالوا
لهُ ان الافرنج يحاولون الفرار وبيَّن الملك لي ذلك جليًّا
ولما سمعت منهُ هذا الكلام قلت لهُ انني لا احامي عن

نفسي لكنني اسلم امري الى الله وهو وحده يعرف الخفايا
ومكنونات الضماير مكشوفة لديه وهو الحاكم العادل
وقبل ان افرغ من الكلام رايت ان الخفراء قد احاطوبي
ثم اتي بباقي الافرنج واقيم الفحص فاثبت الوشاة اننا عازمون
على الفرار فاتوا بالقيود ووضعوها بالقرب منا وكانوا
ينتظرون صدور امر الملك ليقيدونا فقال قوم من
العساكر للملك انهُ لا يلزم ان نقيدهم ما دامت نساؤهم
واولادهم في ايادينا والاوفق استخدامهم لنقل المركبات
والمدافع فاجاب الملك طلبهم فكنت انا ومستر فلاد
الذي كان قد رجع من سفرهِ منذ برهة قصيرة نبيت
خارجاً فكانت الارض فراشنا والسماء غطاءنا فاحتملنا
بردًا شديدًا ولم يكن من يرثي لحالنا على اننا كنا نشكو
امرنا الى ذلك الذي لهُ المجد والسلطان الى الابد وكان
مرضي يشتد وبعث اليَّ الملك ثانية طالبًا مثولي بين
يديهِ فاتيتهُ كما اتيتهُ في المرة الاولى وكانت امراتي تتبعني

باكية فارجعها الجنود بالعنف بعد ان تهددوها واستهزاوا
بها ولما اتيت مكان الملك امر الجنود ان يضعوني
في خيمة صغيرة سوداء مملوة اقذارًا فاقمت فيها ثلاثة
اسابيع بين جنود شرسي الاخلاق كانوا يعاملوني بالقساوة
البربرية وكان المرض يشتد عليَّ ولم يوذن لاحد من اقاربي
او اصحابي ان يزورني ولا ان يبعث لي ما يلزم ولم يكن
لي معين غير الله وحدهُ وكان يدخل عليَّ بعض الاهلين
فكانوا يستعملون ما يسمونهُ سحرًا مستخدمين بعض
نباتات ظانين ان ذلك يشفيني وبقيت على تلك الحال
الى ان بعثت اليَّ امراتي امرأة حبشية وارسلت لي
معها دواءً مركبًا من بزركتان وحب رشاد وماء فشربت
منهُ ثلاثة فناجين فشفيت باذن الله

وعد الاله لكل كرب فرجة
والله ليس بمخلف ميعادهُ
مولى يودب عبدهُ بجراحهِ

لكن يهي ء قبل ذاك ضاده

وبعد ان صرفت ثلاثة اسابيع في الحبس اطلق سبيلي وكنت قد شفيت فاخذنا في المسير محتملين اتعاباً كثيرة من جرى صعوبة الطريق الى ان اتينا مكاناً يسمى بيت هور وهو مرج مخصب مقابل مجدلا يبعد عنها نحو مسير اربع ساعات وكانت الطريق صعبة فكنا نشتغل بتصليحها ثم ذهبنا الى مكان اخر يسمى بناع دلّنته بعد ان ضعفت قوتنا فاقمنا مدة الى ان تقوينا ثم ذهبنا قاصدين مجدلا وكدنا لا نصدق اننا سنتمكن من الوصول اليها وكان يتبين لنا ان الملك لا يركن الينا وكانت سلامة ضميره تقل يوماً فيوماً حتى امسى لا يركن الى احسن جنوده فكان يلاحظ امرنا بنفسه كل الملاحظة فامرني ان لا افارقه ابداً وكان ياخذني معه كيفما توجه خوفاً من ان اتمكن من الفرار وقبل ان وصلنا الى مجدلا بمدة قصيرة شرعت العساكر في حصاد مزروعات الاهالي

واصحابها واقفون بعيداً ينظرون مزروعاتهم تحصد بحزن لا مزيد عليهِ وبدون ان يقدروا ان يدافعوا عن مالهم ولم تكتفِ الجنود بحصد ما كان يلزم لهم ولكنهم كانوا يحرقون ما كانوا يتمكنون من حصادهِ وبعد ان سرنا برهة راينا كنيسة فدخلها الملك واقام الصلوة فيها وبعد ان فرغ من الصلوة قال لي هل يبنون الكنائس في اوروبا كبناءِ هذه الكنيسة فاجبتهُ ان في كنائس اوروبا نوراً مصدرهُ الاساقفة الذين يعلمون الشعب فيستضيء بنور تعاليمهم اما كنائس الحبشة ففيها ظلمة لانهُ ليس لها معلمون فيبقى الشعب في ظلمة الافكار ولما سمع مني صرخ قائلاً اواه ثم نظر الى المقابر الكائنة بالقرب من الكنيسة وقال وهو متفرس فيها تفرس التامل والافتكار انهُ لا فرق بين المدفونين في هذه المقابر وبين اولئك الذين يحصدون الزروع وينهبونها فانهم سيان في المعرفة ولهم اعين ولا ينظرون واذان ولا يسمعون فكانهم موتى

على انني اومل ان اولادهم يكونون احسن منهم ويتعلمون شيئًا من المعارف . وياحبذا لو نظر ذلك الملك الى نفسهِ

يا ايها الرجل المعلم غيرهُ هلا لنفسك كان ذا التعليمُ
ابدا بنفسك وانهها عن غيها فان انتهت عنهُ فانت حكيمُ
لا تنهَ عن خلق وتاتي مثلهُ عارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

فاخبرتهُ ماقيل في حزقيال النبي من الاصحاح الثامن والثلاثون ثم سرنا في الطريق فسالني قائلاً هل يتكلم الكتاب المقدس عن واجبات الاساقفة فان الاسقف الحبشي لا يعتني الا ببطنهِ فقلت لهُ نعم فان بولس الرسول قد قرر في الاصحاح الثالث من رسالتهِ الاولى الى تيموثاوس واجبات الاساقفة ثم قرات لهُ كلام مار بولس بهذا الخصوص فلما سمعهُ اوقف جوادهُ وقال وهو في حيرة اهذه هي من عبارات العهد الجديد فقلت لهُ بالحق هي من كلام الموضع المذكور والظاهر انهُ شعر بخطاياهُ ووبخهُ ضميرهُ على تقصيراتهِ وقال انني ساعبد الله بعد وصولي الى بيتي

وياحبذا لو كان ذلك صادراً عن ارادة قلبية ولما وصلنا
ذهبت الى خيمتي وبعد ان اقمت فيها برهة قصيرة
دعاني اليه فاتيته على قدم السرعة ولما وصلت الى مكان
اقامته رايت عنده كهنة كانت لوائح الغيظ والكدر
تلوح على وجوههم وهم من يناع دلنتا ولما راني دعاني من
بعيد وقال انك مصيب ياولدي فان هولاء لا يعرفون
شيئاً من التعاليم الدينية فالان قد ظهر لي نور وبرهان
جهلهم عدم اقتدارهم ان يجيبوني بشيء عما اجبتني عنه
وكان اعدائي يناع دلنتا قد عاهدوا الملك قبل وصول
العساكر اليهم ان يدفعوا له الاموال المرتبة وظنوا انهم
في طمانينة وامان من تعدي العساكر على اراضيهم وهم
مارون فيها فكانوا ياتون افواجاً افواجاً حاملين الحنطة
المرتبة ولم ياتوا بما يكفي العساكر لان بعض الاهالي لم ياتِ بشيء
فنهبت العساكر بيوت الاهالي وغلالهم وتركوا ذلك المكان
الجميل المملوء من الخيرات قاعاً صفصفاً والذي مكنهم من

نهب كل شي هو اركان الاهالي الى العهود التي عقدوها
مع الملك فلم يخبوا شيئا والقت العساكر القبض على نحو
الف رجل واوثقتهم بوثاقات خشبية وبعد ذلك خرجنا من
دلنتا وسرنا قاصدين تجدلا وكان يبان لنا ان الملك عارف
باتيان العساكر الانكليزية الى بلادهِ فانهُ ذكرهم على
مسمع منا بكلام غامض اكثر من مرة وكان يحاول ان
يقف على حقيقة الخبر سرًّا فبعث اليَّ رجلاً ليقف على
معلوميتي من هذا القبيل فاتاني وحاول ان يوهمني بانهُ لم
ياتِ من لدن الملك وانهُ لم يقابلهُ منذ زمان طويل
فسالني عن خبر الانكليز وعما يقتضي ان يفعلهُ الملك
اذا كان خبر اتيانهم صحيحًا فاجبتهُ بسلامة ضميران
الاوفق ان يصالحهم وانهُ لايحصل على ذلك بدون ان
يطلق الاسرى وان اطلقهم يستامن على ملكهِ ونفسهِ ولما
سمع ذلك الرجل الخبيث مني ما سمع وحضل على الافادة
التي كان يرغب ان يحصل عليها اتى الملك واخبرهُ بما

كان وفي الغد دعاني الملك اليهِ ودعا ارفاقي الذين
كانوا مسافرين معنا وغيرهم من الحبش ولما مثلنا امامهُ
سال الرجل الذي كان قد ارسلهُ اليَّ عما قلتهُ في الامس
فبلَّغهُ كلامي بدون زيادة ولا نقصان وعند ذلك عرفت
انهُ كان جاسوساً ولما فرغ من الكلام صرخ الملك باعلى
صوتهِ فخفت جدًّا حتى انني كدت اغيب عن الصواب
وقال لي بعد ان تهددني كل التهديد ياحمار يامنكود
الحظ اتريد ان تبيع بلادي اتخاف من الانكليز اما انا
فلا اخاف مثلك ولذلك لا اصالحهم ياحمار ابيض الم
تاكل خبزي فلماذا لا تريد ان تموت معي ولماذا تحرضني
على المصالحة فلا اصالحهم ابدًا لانني عارف حق المعرفة
انهم قادمون لياخذوكم ثم هاج غضبهُ واي هيجان واخرج
عدارة من نطاقهِ وشرع يخاطب نفسهُ قائلاً مراراً كثيرة
كيف اصالح اما انا فوقفت صامتاً مرتجفًا ولم اجاسران
اتكلم كلمة واحدة لانني علمت انهُ كان منتظرًا ان يسمع

مني كلة ليطلق عليَّ الغدارة فدافعت عن نفسي بالصمت
وبعد ذلك خلع ثوبهُ الخارجي وطرحهُ على الارض
من شدة الحنق ثم رمى رحمهُ وطرح نفسهُ على الارض
واخذ يتمرغ كمن اصيب بداء او بجنون وبعد ذلك امر
الجنودان يوثقوني ويسجنوني على انهُ ندم على مافعلهُ بعد
ان رجع الى نفسهِ لانهُ كان محتاجاً الينا لنقل المركبات
والمدافع الى مجدلا وسمح لارفاقي ان يزوروا عيالهم في
المساء وان يرجعوا في الصباح اما انا فابقاني في السجن
وفي الليل وضع ارفاقي معي في السجن اما عدد الحراس
فكان نحو مائة رجل وكنا نعجب جدًّا من عدم ثباتهِ
على حالة واحدة فكان يرضى اليوم بما يغضبهُ في الغد
يتمنى المرءُ في الصيف الشتا واذا جاء الشتا انكرهُ
ليس يرضي المرء حالٌ واحدٌ قتل الانسان ما اكفرهُ
وكنا نراهُ في الطريق يحث العسكر على الشغل
وكان يمر احيانًا بينهم وهم منهمكون في الاشغال فلا

ينتبهون الى تقديم ما يلزم تقديمهُ من علامات الاحترام
لانهم كانوا منهمكون في الشغل المفروض عليهم فكان
يغضب عليهم ويامر بضربهم ومات منهم كثيرون من
الضرب فكنا ننظر اليهم وادمع الحزن تهطل من
عيوننا وكثيرًا ما كنا نصرف وجوهنا عن تلك المناظر
المحزنة وكان يرانا الملك ويقول لنا هل تغضون انظاركم
لئلا تروني اقاص المذنبين فسكتنا خوفًا من ان يصادفنا
ما كان قد صادف سترن وبعد مدة قصيرة تغيرت
افكارهُ وشرع في ملاطفتنا بالكلام والمعاملة ودعاني
اليهِ صباح ذات يوم وقال لي ماذا افعل بالاسرى وماذا
افعل برزم فقلت لهُ الاوفق ان تامر باجلالتكم باطلاقهم
وان تعاملوهم بالرقة واللطف فاجاب طلبي وبعث
مكتوبًا الى الخواجا لان مع الخواجا فلاد وامر باطلاقهِ
ووهبهُ الفي ريال وخمسين بقرة وكان ذلك بعد وصولنا الى
تجدلا بمدة قصيرة وذلك في شهر اذار سنة ١٨٦٨ وهي السنة

العاشرة من وصولنا الى تلك البلاد والاخيرة وبما ان
مجدلا مبنية على جبل عالٍ وكان قد دنا فصل الشتاء
وضربنا خيامنا في احدور جبل في مكان يسمى سلمي
وهو يبعد ٤٠٠ قدم الى الجهة الشمالية الغربية من
احدور الجبل وبعد ان اقمنا في المكان المذكور مدة
قصيرة امر الملك بانعقاد جمعية مع الخواجه رزم فدعاهُ اليهِ
فحضر بين يديهِ وكان الملك جالسًا في خيمة مزينة
بالبسط والمنسوجات الحريرية فحضر بين يديهِ رزم
وهو لابس ثيابهُ الرسمية فقابلهُ بكل لطف وسرور وحياهُ
بافضل التحيات وامرهُ بالجلوس من عن يمينهِ واخذ
يحذرهُ من مخالفة امرهِ ثم قال لهُ الا ترى ولد مير واصحابهُ
امامي فاجابهُ بلى فقال انهم كانوا تحت سلطاني خاضعين
لقوانيني وقايمين بحق اوامري ولقد الزمتهم ان يعملوا
لي اشياء كثيرة ولا يزالون تحت سلطاني الست انت
مثلهم فاجاب رزم كيف لا وانا مستعد ان انفذ مرغوبات

حضرتكم فقال الملك لقد احسنت فان طلبت منك
شيئًا هل تمنع عن ان تفعلهُ فاجاب كيف اتمنع فان
تمنعت اكون جاهلاً فقال الملك اني اطلب اليك شيئًا
واحدًا وهو الصداقة والمحبة فاجاب رزم بفرح قائلاً
ان الله شاهد بانني منذ الابتداء قصدت هذا الامر وهو
غاية مطلوبي وشرف لي ولا ازال على عهدي ما دمت
حيًا اما الان فاني اعلم بكل تاكيد ان حضرتكم لا تتمنعوا
عن اجابة التماسي لجهة اطلاق سبيل الدكتور بلنك
والملازم بيردو فاجاب الملك طلبهُ حالاً ودعا اليهِ ابنهُ
الامير اعلم يو وهو الان في الهند وهو ولي العهد
واوقفهُ امام مستر رزم وقال لهُ فانني اسلمهُ اليك لتكون
لهُ ابًا ومعلمًا ومهذبًا ثم قال لهُ كن اباهُ وصاحبهُ وعلمهُ
التعاليم المسيحية في لندرا . وكان لكلام الملك معنى كما
سيتبين مما سياتي ففرح رزم جدًا من هذا النصيب السعيد
الذي حصل عليهِ وراى انهُ امن غضب الملك ووعدهُ

بالاعتناء التام بالاميرالمذكور وطلب الى الملك ان ياتي
بيتهُ فقال لهُ انني الان كالمرأة الحبلى ولا اعلم هل الد خيرًا
او شرًّا ولكن بعد الولادة اذهب الى بيتك وبعد ان
سلم ابنهُ الى رزم قال لهُ انني اعجب من تغيير الاحوال
وانقلاب الزمان اما عند الله فليس شيء بعجيب لانهُ كم
مرة رفع الوضيع ووضع الرفيع واكرم المهان واهان الكريم
فانهُ سياتي زمان تقف فيهِ امامهُ جاثيًا . ياخليلي رزم وانا
ماشٍ على الارض وتقول اه ما اكثر الشرور التي ارتكبتها
في زمانك وكم ارتكبت من الفواحش وسفكت من
الدماء وقصرت عن القيام بالواجبات الخيرية التي كنت
قادرًا على ان تقوم بها ولم يخطر لك ببال انهُ لابد من
الوقوف امام عرش الديان الذي يجازي كل انسان
بحسب اعمالهِ

شعرٌ

اذا كنت في امر فكن فيهِ محسنا

فعما قليلٍ انت ماضٍ وتاركه

فكم افنتِ الايام اصحاب دولةٍ

وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

والظاهر ان هذا الكلام الذي كلم بهِ الملك مستر رزم كان صادرًا عن قلق افكارهِ وخوفهِ لانهُ كان عارفًا ان الانكليز كانوا قادمين الى بلادهِ وكان يعرف انهُ لابد من ان يصادف ما ياتي بهِ ارتكاب الذنوب وسفك الدماء من العواقب وكانت اخبار قدوم الانكليز تكثر يومًا فيومًا وكانت عساكرهم تتقدم شيئًا فشيئًا وكان كلما تكاثرت الاخبار يشتد خوفهُ وقلقهُ فما اصدق ما قيل حاسب نفسك تسلم واحفظ دينك تغنم ومن فعل خيرًا فبنفسهِ بدا ومن فعل شرًّا فعلى نفسهِ اعتدى ومع ذلك لم يسمح باطلاق سبيل ستارن مع اننا طلبنا ذلك اليهِ بكل لجاجة وكان يقول اذا اطلقت الجميع فلا اطلقهُ وان قطع الانكليز يدي اقبض

عليهِ بيساري ولما تيقن ان العساكر الانكليزية قادمة
فرغ صبره بانتظار ورود تحرير منهم وكان يزداد ظلمهُ
يومًا فيومًا وامسى في اضطراب وقلق شديدين حتى انهُ
بات لا يعرف اين هو من الدنيا وامر بنقل المدافع من
مجدلا الى سلمكي واقامها صفوفًا صفوفًا والزمنا ان نصلح
ما كان قد تكسر من الاتها في مسيرنا من دبر اطابور
الى مجدلا وكانت الطريق طويلة فتعب الحدادون
والفعلة كل التعب وكانوا يقصرون في مساعدتنا وعلى
الخصوص لانهم لم يحصلوا على ما كان كافيًا للقيام بحق
اودهم على انهم كانوا يشتغلون خوفًا من غضب الملك
وكثيرًا ما كانوا يجتمعون اقوامًا اقوامًا ولوائح الجوع
والخوف تلوح على وجوههم وكانوا يسالوننا قائلين ماذا
ياترى يحدث بين الملك والانكليز هل يعقد بينهُ وبينهم
عهود الصلح او تنتشب الحروب ثم يقولون اننا نطلب
الى الله ان يساعدنا في الضيقات الآتية لانهُ اذا تخلّى

عنا نهلك لامحالة وانتم كذلك تهلكون قبلنا لان الملك
يامر بقتلكم قبل وصول العساكر اليهِ ثم يقولون اللهمَّ
ارحمنا ولا تعاملنا بحسب زلاتنا وبينما نحن منهمكون
بتصليح الالات المكسرة زار مستر رزم الملك وكان قاصدًا
ان يرى المدفع الكبير المذكور الذي لم يقدر ان يجره
الى اسلمبكي اقل من ثمانين رجلاً فلما راهُ اظهر لذلك
العجب وهناهُ بالحصول على مصنوع عجيب كهذا وقال
لهُ لا ريب في ان الانكليز القادمين سيتعجبون عند ما
ينظرون اليهِ فلما سمع الملك ذلك انفرد قليلاً ثم قال
لهُ اذا سمح الله ان يريهم اياهُ اي انهم اذا انتصروا عليهِ
ينظرون ذلك المدفع ثم طلب اليهِ مستر رزم اطلاق
الاسرى فاجاب طلبهُ وفك قيودهم ولكنهُ ابقاهم تحت
الحفظ واشترط عليهم ان يفعلوا كرات من حجارة للمدافع
واقام عليهم حرسًا خوفًا من ان يطلبوا الفرار وبعد ان
صرف رزم اتاهُ قوم من الكهنة والعلماء لابسين الحلل

الفاخرة ووقفوا امامهُ ثم تقدم اليهِ راهب وقال لهُ قد
سمعنا ان حضرتكم مزمعون ان تتدينوا بالدين الانكليزي
وقد اتيناكم لنتوسل اليكم باسم الثالوث الاقدس ان
لا تتركوا دينكم القديم وان تعيشوا وتموتوا وانتم محافظون
عليهِ فلما سمع الملك ذلك اندهل وقال من اخبركم
انني قد تدينت بالديانة الانكليزية فاجابهُ قائلا اننا قد
سمعنا ذلك وحضرتكم قد تكلمتم كثيرًا مع الافرنج
بهذا الخصوص واستحسنتم اعتقاداتهم فاستشاط الملك
غضبًا عليهِ وقال يا ايها الحمار قل لي من اخبرك بذلك
وشرع يتهددهُ ويشتمهُ بكلام قبيح وقال انظروا كيف
يدعي هذا الحمار بشيء لا يعرفهُ ثم التفت الى الذين
كانوا حاضرين منا في ذلك المجلس وسالنا قايلين هل
صحيح ما قالهُ الراهب او كذب فاجبناهُ انهُ ليس بصحيح
لان ما كلمناكم بهِ هو كلام الله فامر بقتل الراهب المنكود
الحظ فهجمت عليهِ الجنود ومزقت كل ثيابهِ فامسى

عريانًا بين جمهور غفير لم يبقَ عليهِ غير نطاق من
حديد ثم امر باماتتهِ جوعًا عوضًا عن قتلهِ بالسيف
وذلك بحسب القانون الحبشي لان من يكذب عندهم
على الملك يقتل وبعد ذلك شرع ينتهر الكهنة الباقين
وقال لهم ماذا تريدون يا ترى اترغبون في ان تكونوا
ضدي يا كذابون لو كنت تدينت بدين الانكليز فلماذا
كانوا ياتون لمحاربتي الا تعرفون انني كنت اصالحهم واذا
فرضنا انني تدينت بدينهم فماذا يعنيكم انتم الا تعرفون
ان الافرنج اتقى منكم فاني انا اعرف انهم لا يقيمون
العثرات وهم احسن منا كثيرًا فانهم يصلون جميعًا
ويشتغلون ويتكلمون صدقًا ويعيشون عيشة مرضية
اما انتم فانكم كذابون وخداعون ولا تعلّمون الاهالي
لانكم حمير مثلهم الى غير ذلك من الكلام المهين الذي
لا يليق بنا ذكرهُ انتم لا ترغبون الا في امتلاك الاراضي
والاهتمام في الامور العالمية وحاصل الكلام ان هولاء

الكهنة سروا جدًّا لما تخلصوا من غضب الملك ونجوا بانفسهم لانهم كانوا خايفين ان يحل بهم ما حل بالراهب

الفصل العاشر

العساكر الانكليزية في بلاد الحبش

وفي صباح خميس الجسد سنة ١٨٦٨ راى ملك الحبش العساكر الانكليزية تتقدم اليه عن بعدٍ فاظلم النور في عينيه وترای له ان شموس عمره قد امست مكسوفة وسدل ظلام الخوف على اعين الحبش ستارًا اعمى بصيرتهم فامسوا في قلق واضطراب وخوف من حلول النوايب عليهم وبات الملك مضطربًا كل الاضطراب وخائفًا كل الخوف فاخذ يتمشى من مكان الى مكان كمن اصيب بداء الجنون مع انهُ كان على جانب عظيم من الشجاعة والقوة وكان يهاجم الصفوف كالاسد الضرغام ويذبح الرجل كانهُ عصفور ويخوض بحار المنايا كما تخوض الخيل الوحوا ومع ذلك ضعفت عزايمهُ وخاف حتى انهُ لما راتهُ عساكرهُ

على تلك الحال خافت مثلهُ وتحققت زوال ملكهِ

شعر

لكل ولاية لابد عزلٌ وصرف الدهر عقدٌ ثم حلُّ
واحسن سيرة تبقى لوالٍ على الايام احسانٌ وعدلُ

اخر

فانتم فتنتم واغتررتم بمهلةٍ ولم تعلموا ان الزمان يخونُ
خذوا حذركم للنائبات فانها اذا لم تكن كانت فسوف تكونُ

اما نحن فقطعنا الامل من الحيوة وخيّل لنا انهُ قد دنا وقت حلول الاجل الذي طالما انتظرنا حلولهُ على ان اما لنا تعلقت بما قالهُ القدير وهو انقذك من الضيق وكان هذا القول تعزيتنا وجسرًا نعبر بهِ فوق انهار المخاطر والويلات التي طالما احاطت بنا فاجتمعنا مع عيالنا في مكان واحد اما مستر رزم فكان في محل اخر بالقرب من خيمة الملك ولما راينا انهُ لا اقتدار لنا على فعل ما ينجينا شرعنا في ان نصبر بعضنا بعضًا منكبين

على ذلك الذي بيدهِ التدبير وفي الساعة الثامنة من
ذلك النهار سمعنا صراخاً وبكاءً واصواتاً تقول اكريو
اكريواي يارب ارحمنا فلما سمع الملك ذلك قال ما عسى
ان يكون هذا فقال لهُ بعض الذين كانوا معهُ ان
المسجونين الحبشيين يصرخون هذا الصراخ فقال لماذا
يصرخون ومن هو ربهم ياترى هيا بنا نسالهم فاتاهم وسالهم
فقالوا لهُ اننا في ضنك شديد لاننا لم نا كل شيئاً منذ يومين
ولذلك صرخنا الى الله لعلهُ يستجيب لنا فلما سمع الملك
منهم ذلك استل سيفهُ وهو يرتجف من شدة الغضب
وقال لهم لماذا لم تعلموني بامركم يا ايها الاشقياء فاقمتم بلا
اكل وخفضتم شاناً مثل شاني بصراخكم القبيح ثم امر باخراجهم
الى خارج وامر بقتلهم جميعاً بدون ذنب فقطعوا بعضهم
بالسيوف وطعنوا بعضهم بالرماح ورموا الباقين بالرصاص
فقتلوا جميعاً فلما راينا ما قد جرى راينا الموت نصب اعيننا
لاننا كنا نظن انهُ بعد ان ينهي حيوة اولئك المنكودي

الحظ ينثني الينا وينهي حياتنا على انهُ سكن غضبهُ عند
المساء واطلق سبيل بقية المحابيس وكانوا من الاولاد
والنساء اما عدد الذين قتلهم فهو مايتان ومنهم امرأة
الدبترا (سهولو) وقد مرَّ الكلام عنهُ وكانت هذه المرأة
جالسة لا تدري ماذا حدث فبعث الملك اليها جندياً
ليأتي بها اليهِ مع ولدها الطفل ليطرحهما من فوق صخر
علوهُ ٥٧ ذراعاً فانفذ الجنود امرهُ وقتلوها في نفس اليوم
الذي قتل فيهِ زوجها قبلها بسنة كاملة ولم يكتفِ بقتل
اولئك المساكين وابقاء جثثهم في مواضعها بل امر ان ترمى
جثثهم في البرية لتكون ماكلاً للوحوش وحاصل الكلام انهُ
صرف ذلك اليوم في سفك دماء بني البشر الذين
هم بالطبيعة نظيرهُ غير انهُ قد أُمن عليهم ليرعاهم
بالعدل والانصاف وعند المساء سلمنا امرنا الى الله
وفي صباح اليوم الثاني وهو يوم الجمعة الحزينة ذهبنا
بدون ابطاء البتة بعد ان ودعنا عيالنا وداعاً اخيراً اذ

اننا ظننا اننا ذاهبون الى ما لا مرجع منهُ فلما اقبلنا
على الملك راينا ُ يتمشى كالعادة فحيياناهُ فقال على
الفور حضروا المدافع والعجلات ثم اسرع بالدخول الى
خيمتهِ ولبس حلتهُ الملوكية التي كانت مرصعة بالذهب
والفضة ثم خرج وفي يديهِ حربة وفي نطاقهِ غدارتان
فقبض بيدهِ اليمنى على الحربة وباليسرى على قوس
ديك الغدارة ووقف ينظر تارة الى عساكرهِ الكثيرة
وتارة الى حصن مجدلا نظرة غضب فلما راينا ُ على تلك
الحال قلنا في انفسنا لقد دنا وقت حلول الاجل وعلى
الخصوص بعد ان راينا انهُ قد ارسل رزم ومن معهُ الى
حصن مجدلا وبعد ذلك بمدة قصيرة ورد اليهِ تحرير من
الجنرال زوربيز قائد الجيوش الانكليزية فلم ينض ختم
التحرير ولا قرأهُ بل قال ماذا تنفع الكتابات اذا كنت
لا ارغب المصالحة والظاهر انهُ كان مستندًا الى قوة عساكره
ومدافعهِ لانهُ بعد وصول التحرير اليهِ امر باقامة المدافع

على حصن مجدلا اما المدفع الكبير فاقامهُ في برج اسلمكي
وفوض امر ادارتهِ الى قوم من الحبش لانهُ لم يركن
الى الافرنج بل خشي أن يسلمهم اياه لئلا يتمنعوا عن
اطلاقهِ على ابناء جنسهم فيوخروا ضرب المدافع الى
الوراء وقد سرَّنا ذلك جدًّا لاننا كنا نخاف ان يازمنا
ان نذهب معهُ الى الحرب ويقلدنا وكالة المدافع وامسى
في حيرة لدى التفكر في كيفية مهاجمة الانكليز ودفاعهم
فجلس على حجر وامسك نظارة مكبرة وصار ينظر الى
السهول الواقعة بين نجدر لنتا ووادي بشلوحتى مجدلا
ثم صرخ بغتة قائلاً لي تعال ياولد مير وانظر اخوتك
الذين اتوا من بلاد بعيدة ليحاربوني فاخذت النظارة
من يدهِ وفرائصي ترتعد فرايت العساكر ينحدرون من
قمة الجبل الى حضيضهِ فلم اقل شيئًا ولكنني اعطيتهُ
النظارة وانا صامت فاشتعلت النيران في قلبهِ واخذ
يخاطب نفسهُ قائلاً انني اعجب كيف ان الله قد اتى بهولاء

العساكر الانكليزية الينا فلو كان لي الان ما كان لي
قبلاً من القوة والبسالة وعدم الاكتراث بمصادمة الاعداء
لكنت اهجم عليهم الان واسالهم ماذا يريدون منا على انني
لا اقدر ان افعل الان ما كنت افعل قبلاً لان عساكري
الذين استند عليهم هم خائنون ولو لم يعرف الانكليز ان
قوتي قد ضعفت وان شعبي خائن لما تجاسروا ان ياتوا
بلادي ولكنهم قد استخفوا بي واحتقروني منذ قيدت
القبطان كمبرون بالسلاسل وسجنت الافرنج وكان
ذلك خطأً مبيناً مني فشرع احد القواد يشجعهُ قائلاً
لماذا تقول ان قوتك قد ضعفت ولماذا تخاف الانكليز
الا تعلم اننا قادرون على محاربتهم وقهرهم بعون الله وسطوة
حضرتك فاجابهُ الملك قايلاً ياصاحبي ان لم يكن الله
معنا ويقف عن يميننا ويدافع عنا نهلك لا محالة والظاهر
ان الله قد اعطاهم القوة والفطنة فانهم اقوى منا وسيفعلون
بنا كما فعلنا بابناء جنسهم وغيرهم من الحبش الذين

عاملناهم معاملة قاسية

وازرع جميلاً ولو في غير موضعهِ

فلا يضيع جميل اينما زرعا

ثم انتقل وجلس على حجر وهو في اضطراب وقلق شديد وطفق ينظر الى الجيش الانكليزي متعجباً من حسن ترتيبهِ ونظامهِ وكان يتهدده مُجدفاً ويلفظ اسم الله باطلاً عوضاً عن ان ينهمك في الاستعداد للمدافعة او في اتخاذ الوسايل اللازمة لاجراء المصالحة ليدفع عن نفسهِ وعن شعبهِ وعن بلادهِ ثقل هذه المسئولية بعد ان راى ان لا اقتدار لهُ على مدافعة الانكليز وان الاخطار قد احاطت بهِ من كل الجوانب وبقي على تلك الحال حتى اقتربت منهُ الجنود ولما راى ان الجيش قد نزل في مكان يبعد عنهُ مسافة رمية كرة مدفع او اقل وانهم قادرون ان ينازلوهُ من هناك بسهولة سالنا قايلاً هل من عادات الانكليز فتح الحرب في نفس يوم وصولهم

وهل يقيمون القتال في يوم الجمعة الحزينة فقلت لهُ
انني اظن انهم لا يقيمون القتال في هذا النهار ومع ذلك
لا اقدر ان اعطي جوابًا موكدًا لانني لسب بجندي ولا
اعرف اصطلاح الجنود وبعد قليل صرخ قائلاً يا لله
ما اعجب ترتيب هذهِ العساكر التي تتقدم صفوفًا
صفوفًا مرتبة على انني ارى ان وجوههم سودًا كوجوهنا ولا
يخفى ان اكثر الجيش الذي ارسلتهُ دولة الانكليز الى
الحبش هو من اهل الهند ولذلك راى ان وجوههم
سوداء وبعد ذلك اخذ يشجع عسكره ويقول لهم
لا تخافوا فاننا قادرون على مدافعتهم بكل سهولة
وسنخلص بلادنا من ايديهم ثم امر الجنود بان تستعد
للحرب ودعانا اليهِ فاتينا بدون تاخر ظانين اننا سنصادف
نتيجة كل المخاوف والشدايد التي صادفتنا واننا سنساق
الى الذبح لاننا ظننا انهُ كان عازمًا على قتلنا قبل الذهاب
الى الكفاح فودعنا اهلنا باكين وذهبنا كمن يذهب الى

المشنقة على انهُ لما دنونا من الملك رايناهُ يتمشى امام
جيشهِ وكان ذاهبًا الى برج فلاً فتبعناهُ فلما رانا آشرع
يعزينا ويسلينا بكلام فتح لنا بابًا للامل بالفرج وقال
لنا تعزوا ولا تخافوا فان الذي يصيبكم يصيبني وان مت
تموتون معي فطابت انفسنا بهذا الكلام واقمنا فلاد ورفقاءهُ
وكلاءً على المركبات المكسرة ليصلحوها وبينما نحن ذاهبون على
الطريق جاس على حجر وشرع ينظر بالنظارة نحو الانكليز
وكانوا قد اقتربوا جدًّا من برج فلاً الذي كنا قاصدين
الذهاب اليهِ لمصادمتهم فقال الملك نعم نعم اليوم تبتدي
الحرب وعلا ظهر جوادهِ بسرعة لا مزيد عليها وكان
السرج بلا ركاب وغار امام العساكر وصرخ قائلاً لا
تخافوا من الذين هم دونكم في كل شيء وبدون قدرة
الله لا يقدرون ان يقيموا اقل الاعمال فافرحوا اذ انهم
قدامكم بخيول وذهب وفضة كثيرة وبدافع وبنادق لا
لا تحصى وهذه كلها لكم فتشجعوا ثم تال ما اشجع الانكليز

ما اشجع الانكليز كيف تجاسر خدام امراة ان يدخلوا
بلادي وان يقاوموا الملك فمن هوزوربيز (قائد الجيش
الانكليزي) ومن هو ابوهُ ومن انا اما انا ذلك الجبار
المعروف بالقتال الست انا عمود الحبشة وملكها من
يستطيع ان ينظر الى جبهتي اما انا ابن داود وابن سليمان
الم يمسحني التقدير ملكًا على هذه البلاد قد سررت بقيام
الانكليز ضدي ووصولهم الى هنا فلابد من ان احصل
على مرادي ولو قاومني العالم كلهُ هذا هو يوم الحبش
والانكليز فادعوني امراةً او من الاراتقة اذا كنت لا
اهجم عليهم واغلبهم بقوة الله وبعد ان فرغ من هذا الكلام
الذي قصد بهِ تشجيع عسكرهِ نزل عن ظهر جوادهِ
وجلس في الجهة الغربية من الحصن وامر المدفعيين
ان يحشوا المدافع فحشوا المدفع الاول وكان يسع نحو
عشرين اقة من البارود وكان هذا القوم على جانب
عظيم من الجهل والغباوة وعدم الانتباه فانهُ بعد ان

حشا الجنود المدفع الاول اتى رجل اخر وحشاه مرة ثانية
وكنا واقفين بالقرب من الملك ولم نمتلك فرصة
لننبههم الى غلطهم لاننا كنا عارفين ان ذلك سياتي
بخطر عظيم ولما راى قايد الجيش الانكليزي ان
الجيش مستعدون للقتال وقصدهم المحاربة امر بترتيب
الجيش ولما راى قايد الحبشة ان الانكليز شارعون في
الترتيب قال لهُ دعنا نفتك بهم قبل ان يتمكنوا من
الاستعداد فلم يرض الملك بذلك في اول الامر على
انهُ سمح لهم بالمهاجمة بعد ان الحوا عليهِ بالطلب وقال
لهم انزلوا والله يكون معكم ويغفر خطاياكم اما هو فبقي وراءهم
يرتبهم وامر الجنود بان يطلقوا المدافع فاطلقوها وعلت
اصوات كثيرة وضجات عظيمة لانهُ تكسرت بعض العجلات
والمدافع فذهب تعبهم سدًى ولم يبقَ عندهم غير ١٢
مدفعا فاطلقوها بالتتابع ولكنهم لم يصيبوا احدًا بكراتها
وعند ذلك وقع خلاف بين المدفعيين لان بعضهم

كانوا يشكون من عدم وجود الكرات عندهم وغيرهم من
فراغ بارودهم وبعضهم من فقدان بعض الات مدافعهم
وبعضهم حشوا المدافع بالكرات قبل البارود وقس
على ذلك مما هو نتيجة الجهل وعدم الترتيب والنظام وكانوا
يظنون ان كثرة الصراخ تخيف الانكليز اما قايد جيش
الانكليز فلم يسمح لجنوده ان يطلقوا بنادقهم في اول الامر ولما
اقترب الحبش منهم امرهم باطلاق بنادقهم فاخذت الكرات
تتساقط عليهم كالبرد ولما راى الحبش ذلك تهافتوا
على اعقابهم وتشتتوا واخذوا يختبئون وراء القبور والصخور
وفي الحفر ويطلقون الاسلحة في هذه الاماكن حتى اوصلوهم
الى حصن فلاّ ومع ان انكسارهم كان مما لا ريب فيه
لم يصدقوا انهم منكسرون بل ظنوا انهم منتصرون
فطفقوا يرتلون ترنيمات الانتصار وكذلك خدام المدافع
الذين كانوا هاربين وراء الجيوش كانوا يظنون انهم
منتصرون ولما راينا الكرات تنفجر على الحبش وتقتل

كثيرين منهم بادرنا الى الاختباء في مكان يحمينا من
فعلها ولما تيقن الملك وعسكرهُ انهم منهزمون خافوا جدًّا
وابطلوا المدافعة ورغبوا في النجاة بانفسهم فكنا نرى
البعض ينامون على بطونهم ويزحفون والبعض يسيرون
على ركابهم ولما راى ذلك الملك قلَّ املهُ بعسكرهِ وراى
ان بسالتهُ وتشجيعهُ لعساكره لم تاتها بفائدة فاغتاظ جدًّا
وتكدر وتغيرت الوان وجههِ وعند الظلام انفصل
الفريقان بعد ان اغتنم الانكليز كثيرًا من اسلحتهم وتقدموا
مسافة طويلة نحو برج فلاَّ ورجع الجيش الحبشي الى
مراكزهِ وكنامعهُ ومن عادات ملك الحبش ان لا يسمح
لاحد من اعوانهِ ان يدنو منهُ وهو غاضب ولما كان
قد راى في ذلك اليوم من المصائب ما لم يرَهُ وما حملهُ
على ترصد حلول الاجل لم يسمح لاحد ان يمر امامهُ بل
بقي وحدهُ متاملاً في حالتهِ التعيسة ثم دعاني اليهِ فخفت
جدًّا لانني كنت عالمًا بما هو عليهِ وظننت انهُ قاصد ان

ينتقم مني ومن ارفاقي غير انهُ لما رآني اخذ يكلمني كلاماً
محزناً واخذ يسالني عن المعركة التي جرت وعما حدث
في الوادي الذي انتشب فيهِ القتال فاجبتهُ ان حضرتكم
اعرف مني بذلك فقال نعم قد تحققت انهزام عساكري
وانتصار الانكليز فهل تقدر ان تعقد مصالحة معهم قبل
ان يحدث في المستقبل ما يكدر صفاء عيشنا اكثر مما
تكدر ونمسي هدفاً لوقوع نبال البلايا والويلات التي
تتهدد بافقلت لهُ نعم ان ذلك ممكن والاحسن ان
حضرتكم تطلبوا الى الخواجه رزم ان يصرف هذا الامر
بطريقة مناسبة فقال هيا بنا نذهب اليهِ الى سلمكي
فاتيناها الساعة السادسة مساء ولم نرَ في الطريق غير
جيوش مشتتة فاخذوا يخبروننا عما اصابهم في النهار في
المعركة وعن الذين قتلوا من اصحابهم واقربائهم واخبرونا
انهُ قد قتل الوزير الاول وكان الملك يحبهُ محبة شديدة لانهُ
خدمهُ سنين كثيرة ولما سمع بخبر قتل وزيرهِ امتلأ

حنقًا وغيظًا وقال انهُ يرغب الانتقام من الانكليز
اذا ساعدهُ الله على ذلك وحال وصولنا الى المحل المذكور
أمر الافرنج ان ينطلقوا الى محلاتهم الا مستر فلاد وانا
فارسلنا وارسل معنا جنديًا ليذهب معنا الى مستر رزم
لناتيهُ بهِ فاتينا بهِ اليهِ واخذ يقص عليهِ ما جرى في
محاربتهِ الانكليز وقال لهُ في ختام كلامهِ ظننت اني
وحدي جبار في القتال ولكن الله اراني قومًا اشد باسًا مني
فانتصروا عليَّ ولا امل لي بالانتصار عليهم فيما ياتي
فارجوك ان تخبرني كيف اقدر ان اقيم السلام بيني
وبينهم ففرح مستر رزم لما سمع ذلك من الملك وقال
لهُ ان حضرتكم تعرفون انني كنت دايمًا اقوم بحق
الصداقة التي بيني وبينكم وعندي ان الاوفق ان يصير
ارسال ثلاثة رجال الى قائد الجيش الانكليزي نهار
غد باكرًا احدهم من لدن حضرتكم والثاني من الافرنج
وانا ارسل الثالث وهو الملازم بريدو فقال الملك لماذا

نسرع بارسال الرسل فلا بد لي من ان افتكر في هذا
الامر قبل اتمامهِ فاذهبوا انتم الان واستريحوا والله يفعل
ما يشاء وفي الساعة الثالثة من اليوم الثاني دعاني الملك
ودعا مستر فلاد اليهِ فقابلنا بوجه بسام وقال ماذا تظنان
هل يناسب صوالحنا ان نرسل الرسل الى المعسكر
الانكليزي فقلنا لهُ اذا كنتم ترغبون في الصلح فارسلوهم
حالاً فاجاب طلبنا واختار رجلاً من اكابرهِ وسالنا
قايلاً من منكم يرغب ان يذهب فانتخب مستر فلاد
فذهب هو والملازم بريدو ورسول الملك اما انا فبقيت
وحدي وجلسنا عند انار نصطلي فاتاه في ذلك الوقت
بعض اكابر قومهِ واشاروا عليهِ بان لا يصالح وقالوا لهُ
ان الريح تميل بالغصن ولكنهُ لا ينكسر حالاً فسالني
عن ذلك فقلت لهُ ان الاختبار قد برهن لحضرتكم ان
عشرة من الانكليز هم اقوى من ماية حبشي والماية اقوى
من الالف فاذا اقتحم الحرب مرة ثانية تحملون ثقل مسئولية

سفك دماء كثيرين من شعبكم فلما سمع هذا الكلام
استحسنهُ هو ومن كان عندهُ من اكابر دولتهِ وقالوا قد
اصبت ياولد مير وكان الملك في حيرة في مدة غياب
الرسل وكان يخشى جدًا سوء العواقب واردنا ان نذهب
الى منازلنا فلم ياذن لنا لانهُ اراد ان ياخذنا معهُ الى
موضع يقال لهُ نزلة سليا فذهبنا معهُ اليها وبينما نحن
ذاهبون جلس على حجر في مكان مرتفع واخذ النظارة
وشرع ينظر الى الانكليز فراى الافيال الكبيرة التي
استخدموها لنقل المهمات التي اقتضت لنقلها اتعابًا كثيرة
فتعجب جدًا وقال عجيبة هي اعمالك يا الله فان الناس
في غير بلدان يصيرون الحيوانات الوحشية اهلية اما في
بلادنا فتبقى على حالتها الم اقل لكم منذ زمان طويل
ان الصانع الافرنجي هو احسن من الملك الحبشي فليفعل
الله مايشاء اذ انني قد تحققت ان الموت قريب وان
ايامنا قد خلصت قبل ان تخلص شهواتنا وكان ينتظر

رجوع الرسل بفروغ صبر وبعد ان انتظر قدومهم مدة
مل من الانتظار فدعاني اليهِ وقال لي الا تعلم لماذا
ابطاوا بالرجوع فاجبتهُ ان حضرتكم تعلمون انهُ يقتضي
زمان طويل لتهيئة جواب لخطاب الملك فاغتاظ من
هذا الكلام وشرع يلعن ويشتم ويجدف واخبر بعد ذلك
عبدًا من عبيده انهُ خطر لهُ ان يقتل كل الافرنج الذين
كانوا عندهُ ثم يطلب الفرار او ان يهرب ويأخذهم معهُ
ولو تكن من ذلك لما قدر الانكليز ان يقفوا على خبرهِ
ولنا امسينا موضوعًا لانتقامهِ ثم اخذ يسالني قائلاً بماذا
تظن يجيبني قايد الجيش الانكليزي هل يجيبني بما يسرني
فاجبتهُ ان حضرتكم تظنون ان الجواب يكون جوابًا
حسنًا ثم قال هل تظن ان الانكليز يرغبون الحصول
على مملكتي فقلت لهُ لا ولكن الذي حملهم على الاتيان
الى بلاد حضرتك هو تخليص الاسرى من الافرنج فقال
هل تظن انهم يعقدون معي عهود الصلح اذا اطلقت

سبيل الاسرى فقلت لهُ المرجح انهم يرغبون في عقد
الصلح بينك وبينهم لان الانكليز كانوا راغبين في عقد
عهود صداقة بينكم وبينهم منذ زمان طويل وبعد
ذلك دخل خيمتهُ وكانت قواهُ قد خارت من جرى
التعب الذي قاساهُ ومن الجوع وكذلك نحن وعندما
دخل الخيمة تمكنامن ان ناكل ولكنهُ غاب مدة قصيرة
ثم رجع الى حيث كان وكنا معهُ وكانت تلوح على وجههِ
لوايح الكدر الشديد والغضب والرغبة في الانتقام
وما زال على هذه الحال حتى راى الرسل مقبلين ومعهم
مكتوب من اللورد زور نبير قايد الجيش الانكليزي
فاخذه الملك من مستر فلاد واعطاني اياهُ لاترجمهُ لهُ
فاخذتهُ وقرائصي ترتعد وترجمتهُ وما ياتي هو ترجمتهُ

الى جلالة ثيودورس الملك

لايخفى ما ابتموهُ في الامس من الشجاعة والبسالة
في ساحة النزال وقد جرى بيننا وبينكم ما قد جرى

فتبين لكم انكم لاتستطيعون ان تنازلونا فنتوسل اليكم
ان تقطعوا اسباب سفك الدماء ونصحكم ان تخضعوا
لسلطان ملكتنا الملكة فيكتوريا وتبعثوا الينا بالاسرى
في هذا الصباح وعليكم الامان ولكم منا المعاملة الحسنى

قائد الجيش الانكليزي

زورنبير

ولما سمع الملك هذا الجواب غضب وتكدر وقال
ماذا عسى ان تكون هذه المعاهدة الحسنة ترجموا التحرير
مرة ثانية فترجمناهُ لهُ مرة ثانية ولما وصلنا الى العبارة
الاتية وهي ولكم منا المعاملة الحسنى غضب وتبين لنا انهُ
فهم من المعاملة الحسنى انهم قاصدون ان يسجنوهُ اما
نحن فاجتهدنا ان نقنعهُ انهُ اذا اطلق الاسرى تكون
لهُ المعاملة الحسنى اللايقة بالملوك ولو فسرناها لهُ كما
فهمها هو لاهلكنا جميعاً لا محالة وبعد ذلك امرنا ان
نخرج من عنده فخرجنا ثم كتب تحريرًا الى اللورد

زرونبير اهانهُ بهِ واحتقرهُ وبعث بهِ اليهِ مع الرسل
الثلثة المذكورين انفًا ثم خرج الى خارج وجلس على
الارض صامتًا واخذ يركع ويصلي ويرسم الصليب على
جسدهِ ولم يكن احد عارفًا بالمقصود ثم اخرج غدارة من
جيبهِ ورمى نفسهُ بها ولو لم يبادر الى منعهِ احد اكابر
رجالهِ بسرعة لامزيد عليها لقتل نفسهُ على ان الباري
سبحانهُ وتعالى لم يسمح بذلك لانهُ لم يكن ساعتًا بقتلنا ولو
قتل الملك نفسهُ حينئذٍ لهجم علينا اعوانهُ وقتلونا لانهم
تشاوروا على قتلنا اكثر من مرة وكانوا يقولون لنا انتم
سبب كل هذه البلايا وتستحقون الموت قبلنا وكان يحكم
بعضهم علينا بالحريق في البيت الخشبي وبعضهم بقطع
ايدينا وارجلنا وبارسالنا بلا ايدٍ ولا ارجل الى المعسكر
الانكليزي على ان الله لم يسمح بذلك ولكنهُ انقذنا من
ايديهم بواسطة رسول بعث بهِ الينا الملك ليدعونا اليهِ
فنجونا من ظلمهم غير اننا كنا نخاف الوقوع في ايديهِ

الملك لاننا لم نكن نعرف ماذا حملهُ على ان يدعونا اليهِ
ولما اتيناهُ اخذ يكلمنا بلطف قايلاً هيا بنا نتشاور لعلنا
نجد طريقة مناسبة للمصالحة فقلنا لهُ بدون ان نمعن
النظر في الاحوال ان يرسل الاسرى الى المعسكر الانكليزي
فاجاب طلبنا حالاً وامر باحضار كل الاسرى من
مجدلا ليرسلهم الى المعسكر الانكليزي فشكرنا الله على
ذلك واخذت ادمعنا تتساقط من اعيننا فتقدم اليهِ
احد اكابر وزرائهِ وقال لهُ ان الافرنج كذابون ولذلك
لا ينبغي ان يصدقهم فلم يسمع لهُ ولكنهُ منعهُ عن اتمام الحديث
وقال لهُ اصمت فان مشورتك هي بئس المشورة وماذا
فعل هولاء القوم حتى احكم عليهم بالقتل ولماذا لا ينبغي
ان ارسلهم الى ابناء جنسهم فانهم لم يخالفوني ولذلك لا
ذنب لهم يحملني على الحكم عليهم بالموت ولما سمعنا ذلك
من الملك تحققنا ان يد الله معنا فاتى بالاسرى من مجدلا
ولما عرف بانهم قد اتوا وقف بجانب الطريق ليرى

مستر رزم ولما راهُ قال لهُ ارجوك ان تحافظ على صداقتي
ولو كنت خارجًا عن سلطتي وستعرف بالذي انا عازم
على فعلهِ فانهُ لابد ان اقتل نفسي او ان اهرب فعش
بخير ياصاحبي وان لم نجتمع في هذا العالم لي امل بالاجتماع
بك في العالم الاتي فما اعجب هذا التغيير الذي حملهُ
على اظهار ما اظهرهُ من الرقة واللطف

شعرٌ

اذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونهُ
وصدَّق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبيهِ بقول عدائهِ
واصبح في ليلٍ من الشك مظلمِ

اما الاسرى فودعوا الملك واتيت انا واياهم قايد الجيش
الانكليزي فدخلنا المعسكر الساعة الثالثة من الليل
فقابلنا الجميع بفرح شديد وذهبوا بنا الى اللورد زورنبيز
فلما رآنا فرح جدًا على ان بالنا كان في انشغال لان

نساؤنا واولادنا كانوا لا يزالون عنده فبتنا تلك الليلة
بدون راحة ولما اصبح الصباح نهضنا فرأينا ما لم نره
في الليلة الماضية فان العساكر كانت مرتبة كل
الترتيب ومنظمة دل النظام وفي ذلك النهار اتى مستر
بندر الى قايد الجيش الانكليزي برسالة واردة من الملك
ثيودورس وكان مستر بندر من الذين كانوا باقين عند
الملك ومما حررهُ الملك في الرسالة المذكورة انهُ ارسل
الفًا من البقر وخمسماية من الغنم لفتح ابواب الصداقة
بينهُ وبين الانكليز ويطلب الى القايد ان يغض الطرف
عما كتبهُ في التحرير السابق من الكلام المهين فعند وصول
هذا التحرير امرنا القايد ان نرجع الى الملك قاصدًا بذلك
ان يخلص كل اسرى الافرنج فذهبنا ونحن في انشغال
بال خوفًا من تقلب افكار الملك عندما يرانا على اننا
قلنا في انفسنا ان ما يحدث لا يكون اكثر مما قد حدث
فلما رانا الملك عن بعدٍ تبسم ولاطفنا بالكلام واذن

لنا ان نقترب منهُ وطلب الينا قبل كل شيء ان نطلعهُ
على الجواب الذي بعث بهِ اليهِ اللورد زورنبير فسلمهُ
الرسول التحرير ومآلهُ ان الجنرال يهديهِ جزيل السلام
وانهُ قبل الهدية بكل سرور على انهُ يطلب اليهِ ان
يطلق سبيل الباقين من الافرنج فلما سمع ذلك الملك
قال هل يذهب مستر ولد ميروسالمارثم امرنا جميعاً
ان نذهب فخرجنا فرحين وبشرنا عيالنا بهذا الخبر
وبادرنا الى التاهب للسفر بكل سرعة خوفاً من
تقلب الاحوال فكانت حالتنا تحاكي حالة الاسرائيليين
عندما سمح لهم فرعون بالخروج من مصر وبعد ان اقمت
مع عائلتي برهة قصيرة دعاني الملك اليهِ وطلب اليَّ ان
أعتني بالرسول الذي كان عازماً على ارسالهِ معنا فوعدتهُ
بذلك وودعتهُ قايلاً قد دنا زمان الفراق فاشكر حضرتكم
كل الشكر على ما صادفتهُ من العناية وحسن المعاملة
واسال الله ان يجازيكم خيراً عني بالخيرات السماوية

والدنيوية والتمس الى حضرتكم ان تعفوا عن زلاتي
فقال اذهب ياصاحبي لانهُ ليس في قلبي حقد عليك عش
يابنيَّ فاني من كل قلبي اسامحك فخرجت واسرعت بالتوجه
مع عيالنا الى المعسكر الانكليزي على ان الملك لم يسمح
للجميع بالذهاب بل قال لهم انهُ سيرسلهم بعد مدة قصيرة
فاشغل ذلك بالنا لاننا كنا نعرف انهُ كثير التقلب
ولما راى الجنرال الانكليزي ان الملك لم ياذن باطلاق
سبيل كل الاسرى بعث اليهِ رسالة طالبًا فيها ارسال
الباقين ولم يرد اليهِ جواب على انهُ سمع من بعض الحبش
ان الملك عازم على الفرار في تلك الليلة وكذب بعضهم
هذا الخبر اما قايد الجيش الانكليزي فامر الجيش ان
يقوم الى مجدلا وكنا نرى العساكر الحبشية تاتي المعسكر
الانكليزي افواجًا افواجًا وتسلم اسلحتها ولما عزم الجيش
على استلام مجدلا سرت امامهم انا ومستر فلاد لانهم لم
يكونوا يعرفون الطريق فدخلوا مجدلا بدون معارضة

وكانوا يطلقون كرات المدافع عليها خوفاً من ان يكون
فيها كمين ولكنهُ لم يكن فيها احد لان اكثر عساكر
الحبش التجأوا الى المعسكر الانكليزي اما الملك فكان
واقفاً وراء الباب الثاني من القلعة وكان عالماً بما قد
جرى ولم يكن معهُ غير الاثني عشر وزيراً الذين لم يفارقوهُ
حتى الموت ولما وصل العسكر الى الباب الاول يئس
من الحيوة وقال لحامل سلاحهِ الا تعرف ماذا قال داود
النبي لله انهُ طلب اليهِ ان لا يرميهُ بين ايدي اعدائهِ وانا
كذلك ثم اخرج غدارة من نطاقهِ واطلق الرصاص
في فمهِ فوقع قتيلاً في المحل الملوكي في عجدلا فهذا ختام
حيوة ثيودورس ملك الحبشة سبحان الحي الباقي

احسنت ظنك بالايام اذ حسنت
ولم تخف سوء ما ياتي بهِ القدرُ
وسالمتك الليالي فاغتررت بها
وعند صفوِ الليالي يعبث الكدرُ

اخبار الملك ثيودورس

ان ذلك الملك كان جبارًا وشجاعًا فانهُ كان يهاجم الصفوف ولا يخشى الحتوف وكان متكبرًا فانهُ اختار الموت على ان يسلم نفسهُ لاحد وكان رجلاً كريمًا وكان يعطي الفقراء حسنات كثيرة ويهب اصدقاءهُ هبات وافرة ويقاص اعداءهُ اشد القصاص وكان يعرف التوراة حق المعرفة لكنهُ تسلطت عليهِ ظلمة القساوة فاعمت بصيرتهُ عن كل ذلك وطرحته في سوء العواقب وكان لهُ استاذان علماء وهذباه تهذيبًا حسنًا وهما الملكة ثوابش ومستر بل المذكور سابقًا وقد تكلمنا عنهُ كثيرًا فلا حاجة الى التكرار فعلمهُ مستر بل علومًا لم يعرفها احد سواه من الحبش اما الملكة المذكورة فكانت تجتهد دايمًا في امتلاك قلبهِ فانها طالما خضعت لهُ الخضوع التام وطاعتهُ الطاعة اللازمة فاصبح منقادًا اليها في كل ما تقولهُ وكان مستندًا الى هذين المعلمين وبواسطتهم

فتح الباب للتعليم في تلك البلاد فماتت الملكة سنة ١٨٥٢ فانهدم العمود الاول وبعدها تزوج بابنة بك نكري ولكن الفرق بينهما كان عظيمًا وقتل مستر بل في حرب العصاة على الملك وهكذا انهدم العمود الثاني وامسى الملك بدون ان يكون لهُ من يركن اليهِ فغلب عليهِ الجهل وتردى برداء البرابرة وقل اركانهُ الى الافرنج فكان يظن انهم اعداوهُ وهذا هو الذي هبط بهِ عن عرشهِ

قوة عدد الجيش الانكليزي
الذي اتى بلاد الحبش

كان عدد الجيش ١٢ الفًا منهم اربعة الاف عسكري من اوربا و٨ الاف من الهند. فالعسكر الاوربي كان متقلدًا بنادق الابرة وكان ٨ الاف خدامًا ومساعدين ومعهم خمسة وثلاثون الفًا من الخيل للتحميل واربعون فيلا للمدافع فكل هولاء اتوا من البحر الاحمر قبل ذلك بخمسة اشهر ليعدوا الطريق

الخاتمة

وبعد ان دخل الحبش قلعة مجدلا دخلتها انا ورايت بعيدًا عني كثيرين من الانكليز واقفين ينظرون الى الارض فلما رايتهم اتيتهم لارى ما عسى ان يكون موضوع نظرهم فرايت جثة ملقاة على الارض فنظرت اليها واذا هي جثة ثيودورس الملك وكان مستر رزم واقفًا بجانبها حزينًا ومتذكرًا ما قالهُ لهُ قبل ذلك بمدة قصيرة ورايت حولهُ جثث الاثني عشر وزيرًا الذين قتلوا بالكرات التي دفعتها الانكليز على القلعة وهدموا قسمًا كبيرًا منها وبعد ان رفعت الرايات الانكليزية فوق حصن مجدلا حفرنا قبرًا للملك ودفناهُ فيهِ باحتفال عظيم ثم اتي بالملكتين اللتين كانتا عندهُ وبابنهِ وكان عمرهُ نحو ثمان سنوات الى اللورد نبير فامر بالاعتناء بهم ومعاملتهم

معاملة تليق بعيال الملوك وامر ايضاً باطلاق كل
المسجونين الحبشيين فاتوا واخذوا امامهُ معتبرينهُ كل
الاعتبار وكان ذلك اليوم من اعظم ايام الافرنج الذين
كانوا ماسورين لانهُ كان يوم خلاصهم من اسرهم بعد ان
اقاموا فيهِ مدة طويلة وكان عددهم ٥٩ نسمة
اسماء الذين كانوا مسجونين من الافرنج في بلاد الحبش
الانكليز مستر رزم
الدكتور بلانك
الملازم بريدو
القبطان كمرون القنصل
المبشر سترن
المبشر روزنتال مع امرأتهِ وولدهِ
مستر كيرنس
مستر مكالبي
المسكوب الخواجا مورتزهل مع امرأتهِ وولدهِ

من ايطاليا الخواجا سينيورا بيتروس

من عين تاب في ارمينيا الخواجا نعوم

الالمان دكتور شمبر مع امرأتهِ وولدين لهُ

مستر زندر مع امرأتهِ و٤ اولاد لهُ

المبشر فلاد مع امراتهِ و٣ اولادهُ

المبشر بندر مع امرأتهِ و٣ اولاد لهُ

المبشر ميرمع امراتهِ و٤ اولاد لهُ

المبشر سالملر مع امراتهِ وولدهِ

المبشر ستيكر

المبشر براتديس

مستر شلر

مستر اسلر

وانا وامرأتي مع ابنتي

الفرنساويون الخواجا بركِ مع امرأتهِ و٥ اولادلهُ

الخواجا بردل

الخواجا مكرر

وبعد ان اجتمعنا جميعًا في مجدلا تحت راية الانكليز كتب اللورد نبيرا علانًا فرقهُ على الجيش وما يأتي هو ترجمتهُ

ياعساكر الهند الاعزا (وهي العساكر الهندية الانكليزية)

ان جلالة الملكة فيكتوريا وشعب انكلترا قد فوضوا اليكم امرًا عظيما وهو اطلاق الاسرى الذين احتملوا بلايا ومشقات كثيرة تحت نير عبودية الحبش مدة طويلة وقد اخذتم على انفسكم مسئولية القيام بحق هذا العمل العظيم بكل فرح وذلك للمحاماة عن ناموس دولتكم الذي داسهُ تحت رجليهِ ثيودورس الملك فاهنيكم لانكم قد تممتم اوامر دولتنا بحسب المراد ومع انكم اتيتم من بلاد بعيدة محتملين حرارة الشمس اللاسعة وهطل الامطار الغزيرة مصادمين قوة العواصف الشديدة وقطعتم ٠٠ ميل بين الصخور والوعور في

ارض مقفرة قد فزتم اخيرًا بالنصر العظيم على ثيودورس
الذي كان مصممًا على ان يبقى محاصرًا في حصنهِ لينال
مشتهاهُ من الانكليز وكثيرون من جيشهِ قد طرحوا
اسلحتهم عند اقدامكم بعد ان اخذتم مدافعهم ومهماتهم
وبعد ذلك دخلتم بالقهر حصن ذلك الذي لم يرحم احدًا
ولذلك قتل نفسهُ لانهُ كان يظن ان الانكليز مثلهُ لا
يرحمون احدًا وان وقع في ايديهم يقتلونهُ فحملهُ سوء
ظنهُ على ان لا يركن اليهم ولم تطلقوا اسرى الانكليز
فقط بل اطلقتم سبيل رفاقهم من الفرنساويين والالمانيين
وغيرهم وفككتم قيود نحو ٩٠ رجلاً من روساء الحبش
وامسيت مجدلا التي سفكت فيها دماء كثيرين بلدًا مقفرة
لان النار قد احرقتها جميعها فنشكر الله اولاً لان يدهُ
هي التي قد ساعدتنا على القيام بحق هذا العمل العظيم
وامدحكم انتم على ما اظهرتم من الغيرة التي وهبكم اياها
تعالى. هذا واني قد رايت ان عساكر الهند قد نست قوانين

دينها من المحافظة على الوداد والموالاة بينها وبين شعب
اوربا ولم ار عسكرًا نظيركم احتمل ما احتملتم من
الصعوبات والمشقات حبًّا بشرف دولتهِ فمن الان
وصاعدًا يزول ذكر تلك المتاعب بكل سرعة وسيبقى
لكم ذكر جميل في صفحات تاريخ العالم وستكرم الملكة
والشعب هذه الخدمة العظيمة التي خدمتموهم بها وعلى
الخصوص لانهُ لم يحدث تشكٍّ مطلقًا لان سلوككم كان
حسنا جدًّا ولا ينبغي ان ننسى اولئك العساكر الذين
كانوا يسعفوننا بتقديم الذخاير ويتبعوننا بها من مكان الى
مكان فنشكر جميلهم وانا قايدكم الى ان ترجعوا الى الاوطان
سافتقدكم الى منتهى حيوتي لاني قدتكم مسافة طويلة
ورايت منكم ما رايت من الشجاعة وحسن الترتيب والنظام

(الامضاء) قايد الجيش اللورد نبير

وفي اليوم السادس عشر من شهر نيسان سنة ١٨٦٨
امرنا قايد الجيش الانكليزي بالسفر بعد ان صرفنا في

تلك البلاد عشر سنوات اما الملكة الحقيقية فمرضت
في الطريق ومانت واتي بابنها الى لوندرا . ولو حاولنا
وصف الفرح الذي ملأ قلوب الاسري لما تاكدوا ان
زمان عبوديتهم قد انتهى محال المحال وفيما مضى
غنى عن اعادة ذكر المصايب الشديدة والمخاطر الكثيرة
التي كانت تحيط بنا فنحمد الله الذي خلصنا من الموت
بعد ان وصلنا الى حافة القبر هذا ولا بد من تادية الشكر
الجزيل الى حضرة الملكة فيكتوريا وامتها التي احتملت
ما احتملت من الخسايرالكثيرة والاتعاب
المقلقة لتخلصنا من الاسر فنطلب
الى الله ان يصونها من طوارق
الحدثان ما توالى
الملوان وكرّ
الجديدان

وفي سنة ١٨٥٦ حمل الملك ثيودوروس ملك الحبشة المذكور في الاخبار الماضية على ملك شوا المسمى هياو ملكوت وقتلهُ وضم مملكتهُ الواقعة في الجهة الجنوبية من بلاد الحبش الى بلادهِ واسر ثيودوروس ابن ملك شوا الذي كان وريثًا للملك واتى بهِ الى مجدلا وبعد ذلك بزمان قصير اقامهُ واليًا وفي سنة ١٨٥٩ تعرفت انا ولدمير بابن الملك المذكور فاشتدت محبتنا بعضنا لبعض وكان اسمهُ منلك ولما راى هذا الوالي القساوة التي كان الملك ثيودوروس يعامل بها الاوروباويين حزن جدًّا وفر هاربًا في الوادي العميق مقابل مجدلا ثم صعد على الجبال فراى هناك الوفًا من قومهِ منتظرين قدومهُ ولما راوه سروا جدًّا واطلقوا البوارید وضربوا الات الطرب وغير ذلك واقاموهُ ملكًا على مملكة ابيهِ فاستامنت رعيتهُ في ايامهِ واصبح الاهلون في نجاح وتقدم ورفاهية وتقدمت التجارة وكثرت الصناعة وغلب العدل

والانصاف اما بلاد شوا فهي بلاد مخصبة جدًّا ومناخها جيد ولا يزال ملكها راغبًا في تقدم تجارتها وصناعتها فانهُ عازم على ان يصيرها ناجحة كسورية وكغيرها من البلاد المتمدنة ومن اكبر مرغوباتهِ ادخال دود الحرير الى بلادهِ ومن يدخلهُ اليها ينال انعامات كثيرة من لدن هذا الملك الكريم وقد بعث اليَّ تحريرًا في هذه السنة وما ياتي هو ترجمتهُ

بسم يسوع المسيح الناصري ملك الملوك ورب الارباب والنور الحقيقي الذي لا يطفا والملك الوحيد الذي لا يموت لهُ يجب المجد والاكرام والسجود الى ابد الدهور امين

هذا التحرير ارسلهُ منلك ملك ملوك شوا الى الخواجا ولدمير وسالهُ بهِ عن صحتهِ ايها الصديق اما انا فانني لله الحمد في كل صحة وعافية وبلادي وسكانها في هدو وراحة وقد ورد اليَّ التحرير الذي بعثتم بهِ اليَّ فسرَّني جدًّا فانني متوقف لاستماع مشورتكم على الدوام واذن

لكم بان تبشروا بالانجيل الفلانية فتعالوا بسرعة وبشروهم
بالانجيل ليمتلئوا من نوره ومتى عزمتم على الاتيان اخبروني
عن الطريق التي تاتوني بها لاخرج والاقيكم وبناء على
ذلك قد ارسلت لكم الف ريال وسيسلمكم اياها
الخواجا بندر والخواجا مير المبشران في ادن (وهي في
شرقي الحبشة) تعالوا بسرعة لاتخافوا ولا تبطئوا وعند
مجيئكم ايتوني ببعض المصنوعات والالات تحريراً في ١٥
ايار ١٨٧٠ من نبواري (شوا)

صورة الختم